الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٥٧ - ٦ اغسطس سنة ١٩٣٤ - السنة الثانية

2 me Année, No. 57.

Lundi-6-8-1934

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مص

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع الساحة رقم ٣٩

بالقاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠ / ٤٠٥٣٠

العــدد ٥٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ ربيع الثانى سنة ١٣٥٣ — ٦ اغسطس سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العــــدد

حول باخرتنا « النيل »

بيننا وبين الأجانب

لمصر ماض بحرى مجيد يرجع الى عهد الفراعنة ، وكان لمصر أساطيل حربية وتجارية تشق عباب البحر الأبيض ، ليس عهدنا بها بأبعد من قرن ، ولو لم تتألب أوربا النصرانية على مصر المسلمة فى نافارين ، ولو لم تصب مصر بعد ذلك بما أصيبت به من المحن السياسية التى هدت من إرادتها وحرياتها ، لكان لها اليوم أسطول يحمى ثغورها ، وكانت لها سفن تجوب البحار وتأخذ بنصيبها من حركة النقل والتجارة . فلما أتيح لمصر الناهضة أخيراً أن تبدأ بغزو الميدان الاقتصادى ، اتجهت الأمانى والجهود الى إحياء الملاحة التجارية المصرية ؛ ووفق بنك مصر — أمتن وأعز صروحنا الاقتصادية — الى وضع الدعامة الأولى فى سبيل تحقيق هذه الأمنية ، فاقتنى باخرتين كبيرتين هما « زمزم » و « النيل » ؛ وأدت « زمزم » فى موسم الحج الماضى للحجيج من مختلف الأمم الاسلامية أجلّ الخدمات ؛ وخصصت « النيل » لقطع البحر الأبيض والسفر بين الاسكندرية ومرسيليا ، وقامت الى اليوم بأربع رحلات موفقة ، وأثارت بحسن استعدادها وفخامتها ودقة

نظامها ، واعتدال أجورها إعجاب كل من شهدها أو سافر على ظهرها من المصريين والأجانب ؛ واغتبط المصريون أيما اغتباط إذ أصبحوا يستطيعون السفر على ظهر باخرة مصرية فخمة ، تسيرها وتستثمرها أموال ومصالح مصرية ، ويشعرون أثناء السفر عليها أنهم بين أهلهم وذويهم .

بدأت مصر إذن بغزو ميدان اقتصادى جديد كان حتى اليوم وقفاً على الأجانب ، هو ميدان الملاحة البحرية ؛ ومن قبل غزت مصر — خلال الأعوام الاثني عشر الأخيرة على يد بنك مصر وشركاته — مختلف الميادين والأعمال الاقتصادية والصناعية ؛ ونمت هذه المؤسسات وأزهرت ، تحفها عناية الله ، وإخلاص القائمين بأمرها وعطف الأمة كلها ، حتى غدت ركناً هاماً فى حياة البلاد الاقتصادية التى كانت من قبل كلها غنماً للمصالح والأيدى الأجنبية ؛ وبثت هذه الحركة المباركة فى الأمة روح الاهتمام بالمشاريع الاقتصادية والثقة فيها ؛ وأخذت المصالح الأجنبية التى غصت بنجاحها تنظر الى المستقبل بعين الخوف والجزع ؛ وتلتمس لمحاربتها مختلف الوسائل والدعوات . وآخر ما أذيع عن جهودها فى هذا السبيل موقفها من شركة الملاحة المصرية ، ومن باخرتها « النيل » ، فقد عرف أن بعض الجهات التى تخشى أن تتأثر مصالحها بجهود الشركة الجديدة تبث ضد « النيل » دعوة سيئة ، وتحث الأجانب على مقاطعتها ، وتشترك بعض وكالات السياحة فى هذه الخصومة فتأبى نشر « النيل » فى قوائمها ، وتأبى التعريف عنها وعن أجورها أو مواعيدها ؛ وهذه خصومة غريبة فى الواقع ؛ أولاً لأن شركة الملاحة المصرية تدخل ميدان المنافسة المشروعة عزلاء من كل حماية خاصة ، ولا تعتمد إلا على جهودها ومؤازرة مواطنيها ؛ وثانياً لأنها أنشئت لخدمة مصر والمصريين قبل كل شىء ، والمصريون لا يمكن أن تحولهم أية دعوة عن مؤازرة شركتهم وباخرتهم ؛ وثالثاً لأن هذه الدعوة فى ذاتها غير صحيحة ، إذ الواقع أن النيل من أفخم بواخر البحر الأبيض وأحسنها استعداداً ، هذا فضلاً عن اعتدال أجورها ومصرية جوها ومحيطها .

***

على أن هذا التحرش من جانب المصالح الأجنبية بالجهود المصرية المشروعة لا يمكن أن يضر هذه الجهود ، وإنما يرتد أثره بالعكس الى المصالح الأجنبية ذاتها . فقد طال عهد مصر بعسف هذه المصالح التى تحميها الامتيازات الأجنبية الباغية ؛ وقد عرفت مصر التى تطمح الى استكمال حرياتها السياسية أن التحرير الاقتصادى دعامة قوية فى هذا السبيل ؛ وعرفت المصالح الأجنبية أن هذه الامتيازات التى تتمسك دائماً بسلطانها وحمايتها لا يمكن أن تحقق لها ما تريد من عطف الشعب الذى تعمل بينه ، لأن عطف الشعوب لا يكسب بالقوة والعنف ، وعرفت من جهة أخرى أن هذا العطف ينثال على كل مشروع مصرى خطير ، ورأت أخيراً أن مصر تغزو الميدان الاقتصادى الذى احتكرته عصرا ، بقوة ونجاح ؛ فهذه العوامل كلها تجعل المستقبل مظلماً فى وجه المصالح الأجنبية ، وتحملها على أن تقف أمثال هذه المواقف التى لا تعرب عن فطنة ولا كياسة من مصالح بلد مازالت تستغل كرمه ورعايته وضعفه .

إن فى هذا الموقف وأمثاله لعبرة جديدة لمصر والمصريين . وفى وسع مصر دائماً — فى مثل هذه الظروف على الأقل — أن تقابل هذه الخصومة بمثلها ؛ فالمصريون الذين يسافرون على البواخر الأجنبية ألوف وألوف ؛ ولن تتأثر شركة الملاحة المصرية و « النيل » بهذه الدعاية الوضيعة ؛ ولكن الشركات الأجنبية يمكن أن تتكبد خسائر فادحة يوم يقاطعها المصريون بحق ، ويؤثرون عليها « النيل » وغيرها من البواخر التى نرجو أن تقتنيها مصر فى أمد غير بعيد .

فلتسر شركة الملاحة المصرية ، ولتسر كل شركاتنا المصرية فى طريقها محفوفة بالرعاية القومية الشاملة ، فان هذا العدوان لن يضيرها فى شىء ، ولكنه بالعكس يكسبها عطفاً جديداً ، ويمدها بروح جديد لمتابعة العمل المجيد الذى تقوم به فى سبيل مصر ؟

« ع »

فى اللهب ولا تحترق

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

أفى الممكن هذا ؟

لعوب حَسَنة الدَّلّ ، مفاكِهة مداعِبة ، تحيي ليلها راقصة مغنية ؛ حتى اذا اعتدل الليل ليمضى ، وانتبه الفجر ليقبل — انكفأت الى دارها فنضت وَشْيها ، وخرجت من زينتها ، وخلعت روحاً ولبست روحاً ، وقالت : اللهم إليك ، ولبَّيك اللهم لبَّيك . ثم ذهبت فتوضأت وأفاضت النور عليها ، وقامت بين يدى ربها تصلى . . . !

* * *

هى حسناء فاتنة ، لو سطع نور القمر من شىء فى الأرض لسطع من وجهها . وما تراها فى يوم إلا ظهرت لك أحسن مما كانت ، حتى لتظن أن الشمس تزيد وجهها فى كل نهار شعاعةً ساحرة ، وأن كل فجر يترك لها فى الصبح بريقاً ونضرة من قطرات الندى .

وتحسب أن لها دماً يَطعَم فيما يَطعم أنوار الكواكب ، ويشرب فيما يشرب نسماتِ الليل .

وإذا كانت فى وَشْيها وتطاريفها وأصباغها وحلاها لم تجدها امرأة ، ولكن جمرة فى صورة امرأة ؛ فلها نور وبَصيص ولهب ، وفيها طبيعة الاحراق . . . . إن الذى وضع على كل جمال ساحر فى الطبيعة خاتَمَ رهبة — وضع على جمالها خاتَمَ قرص الشمس

فاذا رأيتها بتلك الزينة فى رقصها وتثنيها — قلتَ : هذه روضة مُفتَتَنة اشتهت أن تكون امرأة فكانت ، وهذا الرقص هو فنُّ النسيم على أعضائها .

وهى متى نفذتْ الى البقعة المجدبة من نفسك أنشأت فى نفسك الربيعَ ساعة أو بعض ساعة .

وتنسجم أنغام الموسيقى فى رشاقتها نغمة الى حركة ؛ لأن جسمها الفاتن الجميل هو نفسه أنغام صامتة تُسمع وتُرى فى وقت معاً وتنسكب روحها الظريفة بين الرقص والموسيقى ، لتخرج لك بظرفها صراحةَ الفن من إبهامين كلاهما يعاون الآخر .

وهى فى رقصها إنما تفسر بحركات أعضائها أشواقَ الحياة وأفراحها وأحزانَها ، وتزيد فى لغة الطبيعة لغةَ جسمِ المرأة .

وكأن الليل والنهار فى قلبها ، فهى تبعث للقلوب ما شاءت ضوءاً وظلمة .

وهى إلى القِصر ، غير أنك إذا تأملتَ جمالها وتمامها حسبتها طالت لساعتها .

وإلى النحافة ، غير أنك تنظر فاذا هى رابية كأن بعضها كان مختبئاً فى بعض .

ويخيل إليك أحياناً فى فن من فنون رقصها أن جسمها يتثاءب برعشة من الطرب ، فاذا جسمك يهتزّ بجواب هذه الرّعشة لا يملك إلا أن يتثاءب . . . .

ويُجنّ رقصها أحياناً ، ولكن لتحقّق بجنونِ الحركة أن العقل الموسيقىّ يُصرّف كل أعضاء جسمها .

ومهما يكن طيشُ الفن فى تأوُّدِها ولفتتها ونظرتها وابتسامها وضحكها — ففى وجهها دائماً علامة وقار عابسة تقول للناس : افهمونى .

* * *

ولما رأيتها شهد قلبى لها بأن على وجهها مع نور الجمال نورَ الوضوء ؛ وأنها مُتحرّزة ممتنعة فى حصن من قلبها المؤمن ، يبسط الأمنَ والسلامة على ظاهرها ؛ وأن لها عيناً عذراء لا تحاول التعبير ، لا سؤالاً ولا جواباً ولا اعتراضاً بينهما ؛ وأن قوة جمالها تستظهر بقوة نفسها ، فيكون ما فى جمالها شيئاً غير ما فى النساء — شيئاً عبقرياً بالغَ القوة ، يكفّ الدواعى ويحسم الخواطر ، ويُرغم الاعجاب أن يكون ذهولاً وحيرة ، ويُكرِه الحبّ أن يرجع مهابة واحتشاماً .

والرواية كلها فى باطنها تظهر على ضوء من مصباح قلبها ، وما وجهها إلا الشاشة البيضاء لهذه «السيما» ، وهل يكون على الوجه إلا أخيلة القلب أو الفكر ؟

وعندى أن المرأة اذا كان لها رأى دينى ترجع اليه ، وكان أمرها مجتمعاً فى هذا الرأى ، وكانت أخلاقها محشودة له ، متحفلة به — فتلك هى الياقوتة التى ترمى فى اللهب ولا تحترق ، وتظل

مع كل تجربة على أول مُجاهدتِها ، إذ يكون لها فى طبيعة تركيبها الياقوتىّ ما تهزم به طبيعة التركيب النارىّ .

وليس من امرأة إلا وقد خلق الله لها طبيعة ياقوتيــة ، هى فطرتها الدينية التى فيها ؛ إن بقيتْ لها هذه بقيت معها تلك ، ولـكنها حين تنخلع من هذه الفطرة تخذلها الفطرة والطبيعة معاً ، فيجعل الله عِقابها فى عملها ، ويَكلها الى نفسها ؛ فاذا هى مقبلة على أغلاطها ومساوئها بطرق عقلية إن كانت عالة ، وبطرق مفضوحة إن كانت جاهلة . وما بُدٌّ أن تستسرّ بطباع إما فاسدة وإما فيها قوة الاستحالة الى الفساد ؛ ويرجع ضميرها الخالى محاولاً أن يمتلئ من ظاهرها ، بعــد أن كان ظاهرها هو يمتلئ من ضميرها ؛ وتصبح المرأة بعد ذلك فى حكم أسباب حياتها ، مُصرَّفة بهذه الأسباب ، خاضعة لمـا يُصرّفها ؛ ويذهب الدّين وينزل فى مكانه الشيطان ؛ ويزول الاستقرار ويحل فى محله الاضطراب ؛ وتنطفئ الأشعة التى كانت تذيب الغيوم وتمنعها أن تتراكم ، فاذا الغيوم ملتفّ بعضها على بعض ؛ وتخذّل القوة السامية التى كانت تنصر المرأة على ضعفها فتنصرها بذلك على أقوى الرجال ، فاذا المرأة من الضعف الى تهافت ، تغلبها الكلمة الرقيقة ، وتغترّها الحيلةُ الواهنة ، وتوافق انخداعها كلُّ رغبة مزيَّنة ، ويستذلها طمعها قبل أن يستذلها الطامع فيها . ولـكن بعــد ذلك مَن هى كائنة أصلاً وحسباً وتهذيباً وعقلاً وأدباً وعلماً وفلسفة ، فلو أنها امرأة من « الاسمنت المسلح » لتفتتت بالطبيعة التى فى داخلها ، ما دامت الطبيعة متوجهة الى الهدم بعد أن فقدت ما كان يمسكها أن تهدِم وأن تنهدم .

لقد رقّ الدين فى نسائنا ورجالنا . فهل كانت علامة ذلك إلا أن كلمة « حرام ، وحلال » قد تحولت عنــد أكثرهم وأكثرهن إلى « لائق ، وغير لائق » ثم نزلت عنـد كثير من الشبان والفتيات الى « معاقب عليــه قانوناً ، ومباح قانوناً ... » ثم انحطت آخراً عند السواد والدهماء إلى « ممكن ، وغير ممكن ... »

***

قالت الياقوتة ، أعنى الراقصة :

— أخذنى أبى من عهد الطفولة بالصلاة ، وأثبت فى نفسى أن الصلاة لا تصحّ بالأعضاء إن لم يكن الفكر نفسه طاهراً يصلّى لله مع الجسم ، فان كانت الصلاة بالجسم وحده لم يزدد المرءُ من روح الصلاة إلا بعدا . وقرّ هذا فى نفسى واعتدته ، إذ كنت أتعبّد على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه ، فأصحّح الفكر ، وأستحضر النية فى قلبى ، وأنحصر بكلّى فى هذا الجزء الطاهر قبل أن أقول : « الله أكبر » ؛ وبذلك أصبح فكرى قادراً على أن يخلع الدنيا متى شاء ويلبسها ، وأن يخرج منها ثم يعود اليها ؛ ونشأت فيه القوة المصمِّمة التى تجعله قادراً على أن ينصرف بى عما يفسد روح الصلاة فى نفسى ، وهى سر الدين وعماده .

ويا لها حكمةً أن فرض الله علينا هذه الصلوات بين ساعات وساعات ، لتبقى الروح أبداً إما متصلة أو مهيَّأة لتتصل . ولن يَعجز أضعفُ الناس مع روح الدين أن يملك نفسه بضع ساعات ، متى هو أقرّ اليقين فى نفسه ، أنه متوجه بعدها الى ربه ، فخاف أن يقف بين يديه مخطئاً أو آثماً ؛ ثم هو اذا ملك نفسه الى هذه الفريضة ذكر أن بعدها الفريضة الأخرى ، وأنها بضع ساعات كذلك ، فلا يزال من عزيمة النفس وطهارتها فى عمر على صيغة واحدة لا يتبدّل ولا يتغيّر ، كأنه بجملته — مهما طال — عملٌ بضع ساعات .

قالت الياقوتة : ورأيت أبى يصلى ، وكذلك رأيت أمى ، فلا تكاد تُـلِمّ بى فكرة آثمة إلا انتصبا أمامى فأكره أن أستأثم اليهما فأكون الفاسدة وهما الصالحان ، واللئيمة وهما الـكريمان ؛ فدمى نفسه ببركة الدين يحرسنى كما ترى .

قلت : فهذا الرقص . . . ؟

قالت : نعم ، إنه قُضِى علىّ أن أكون راقصة ، وأن ألتمس العيش من أسهل ثلاث طرق ، وألْيَنها وأبعدها عن الفساد ، وإن كان الفساد ظاهرها . أريد : الرقص ، أو الخدمة فى بيت ، أو العمل فى السوق . وأنا مُطيقة لحريتى فى الأولى ، ولـكنى لن أملكها فى الأخيرتين مادام عَلَىّ هذا الميسم من الحسن ؛ وكم من امرأة متحجِّبة وهى عارية الروح ، وكم من سافرة وروحها متحجبة . إن كنت لا تعلم هذا فاعلمه ، وليس السؤالُ ما سألت ، بل يجب أن يكون وضعه هكذا : هل ما ترى هو فى ثيابى فقط ، أو هو فى ثيابى ونفسى ؟

ها أنت ذا تُـغَـانِـل نظرتك فى عينىّ إلى المعانى البعيدة ، فهل ترى عينى راقصة ؟

قلت : لا والله ، ما أرى عينَيْ راقصة ، ولكنْ عينَي مجاهد فى سبيل الله . . ! فاستضحكتْ وقالت : بل قل : عينَي مجاهد يهزم كل يوم شيطاناً أو شياطين .

إنى لأرقص وأغنّي ، ولكن أندرى ما الذى يُحرِزُنى من العاقبة ، ويحميني من وباء هذا الجمهور المريض النفس ؟ فاعلم أنى لا أشعر بالجمهور ، ولا بروح المسرح ، إلا كما أشعر بروح المقبرة والمشيعين اليها ؛ فهيهات بَعْد ذلك هيهات ! ومن هذا لا أحس بقلوبهم ولا بشهواتهم ، وما أنا بينهم إلا كالتى تؤدّى عملا فنياً على ملأٍ من الأساتذة الممتحِنين ، والنظّارة يحكمون لها أو عليها ؛ فهى فى فكرة الامتحان ، وهم لأنفسهم فيما شاءوا . . .

ولست أنكر أن أكثرهم ، بل جميعهم يخطىء فى طريقة تناوله السيّال الكهربائى المنبعث من نفسى ، ولكن لا عَلَيّ ؛ فهذا السيال نفسه ينبعث مثله من الزهر ، ومن القمر والكواكب ، ومن كل امرأة جميلة تمشى فى الطريق ، ومن كل جميل فى الطبيعة ، وحتى من الأمكنة والبقاع إذا كان لانسان فيها ذكريات قديمة ، أو نبّهت ببعض معانيها بعضَ معانيه .

قالت الياقوتة : فأنا كما ترى ؛ اضطرب وجوهاً من الاضطراب فى جذب الناس ودفعهم معاً . واذا سلمت المرأة من أن يغلبها الطمع على فكرها سلمت من أن يغلبها الرجل على فضيلتها . وفى النساء حواس مغناطيسية كاشفة منبّهة خلقت فيهن كالوقاية الطبيعية ، لتسلم بها المرأة من أن تُخاطِرَ عفتَها لغرض ، أو تُغرِّر بنفسها لانسان ؛ فانك لتكلم المرأة ، وتزيّن لها ما تزيّن ، وهى شاعرة بما فى نفسك ، وكأنها ترى مافى قلبك ينشأ ويتدرج تحت عينيها ، وكأنه فى وعاء من الزجاج الرقيق الصافى تحمله على كفّك يَشِفُّ ويفضح ، لا فى قلب من لحم ودم تخفيه بين جنبيك فيطوى ويكتم .

وليس يُبطل هدايةَ هذه الحاسة فى المرأة إلا طمعها المادىّ فى المال والمتاع والزينة ؛ فان هذا الطمع هو القوة التى يغلب بها الرجلُ المرأة ، فبنفسها غلَبَها : واذا تبذّلَ طمعُ امرأة فى رجل فهى مومس ، وإن كانت عذراء فى خدرها .

وياعجبا ! إن وجود الطبيعة فى النفس غير الشعور بها ؛ فليس يشعر المرأةَ بتمام طبيعتها النسائية إلا الزينة والمتاع وما به المتاع والزينة . فكأن الحكمة قد وَقَتها وعرّضتها فى وقت معا ، لتكون هى الواقيةَ أو المخاطِرةَ لنفسها ، فبعملها تجزى ؛ ومن عملها ما تضحك وتبكى .

قالت الياقوتة : ولذا أخذتُ نفسى ألا أطمع فى شىء من أشياء الناس ، وسَخوْت عن كل مافى أيديهم ؛ فما يتكرّمون علىّ إلا بهلاكى ، وحسبى أن يبقى لعيني قلبى ضوؤها المبصر . وأنا أعتمد على شهامة الرجل ، فان لم أجدها علمتُ أنى بازاء حيوان انسانى ، فأتحذّره حذرى من مصيبةٍ مقبلة . واذا جاءنى وقح خَلق الله وجهه الحسن مسبةً له ، أو خلقه هو مسبة لوجهه القبيح ، ذكرت أنى بعد ساعة أو ساعات أقوم الى الصلاة ، فلا يزداد مني إلا بعدا وإن كان بازائى ، فأغلظ له وأتسخط ، وأظهر الغضب وأصفعه صفعتى .

قلت : وما صفعتك ؟

قالت : إنها صفعة لا تضرب الوجه ولكن تخجله .

قلت : وما هى ؟

قالت الياقوتة : هى هذه الكلمة : أما تعرف ياسيدى أنى أصلى وأقول « الله أكبر » فهل أنت أكبر . . . ؟ أأقيم لك البرهان على صَغارك وحقارتك ، أأنادى الشرطى . . . ؟ !

* * *

تختنق بالرقص وتنتعش بالصلاة ، وفى كل يوم تختنق وتنتعش .

ولكني لا أزال أقول :

أفى الممكن هذا ؟

أفى الترادف شرعاً : رَقَصتْ وصلت . . . ؟

مصطفى صادق الرافعى

أزمة الكتاب
ومصير الكتب

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كان القرن التاسع عشر عصر الآلات والاختراعات الصناعية ، حلت الآلة مكان اليد العاملة فى معظم الصناعات ، وحرم ملايين العمال من العمل اليدوى ، وساد البؤس فى الطبقات العاملة ، واستمر هذا التطور طوال النصف الأخير من القرن الماضى حتى استقرت الصناعة أخيراً على قواعدها الجديدة ، وتهيأت الطبقات العاملة للعمل فى الظروف الجديدة ، وحل العمل الفنى والآلى مكان العمل اليدوى .

واليوم نشهد انقلابا عظيما آخر فى مصاير الانتاج العقلى ؛ فقد كان « الكتاب » حتى أوائل هذا القرن أهم وأنفس غذاء عقلى للطبقات المثقفة ، وكانت قراءة الكتب المختارة أسمى وأمتع وسائل التربية والتهذيب والرياضة العقلية ، ولكن التطورات العلمية والأدبية والاجتماعية التى حدثت منذ الحرب الكبرى كان لها أثر كبير فى تطور الذوق الأدبى أو بعبارة أخرى فى قيمة الكتب وفى مركز القراءة وميول القراء . وليس من ريب فى أن الكتاب قد فقد اليوم كثيراً من سحره وقيمته المادية والاجتماعية ، وقل الاقبال كثيراً على اقتنائه وقراءته ، ولكن ذلك لا يعنى أن منسوب القراءة قد هبط ، فالقراءة بالعكس قد كسبت من هذا التطور بصفة عامة ، وزاد منسوبها بلا ريب تبعاً لازدياد نسبة المتعلمين فى مختلف الأمم ؛ واذا كان الذوق الأدبى قد تطور وخسر الكتاب القيم كثيراً من قرائه ، فان أولئك القراء تحولوا الى ألوان جديدة من الأدب الخفيف والى قراءة الصحف والمجلات . والواقع أن الصحافة أول وأقوى العوامل الجديدة التى أثرت فى مركز الكتاب ومدى انتشاره . ففى ربع القرن الأخير تقدمت الصحافة تقدما عظيما ، وغزت كل ميادين التفكير والعلوم والفنون ، ولم تبق دوريات خبرية فقط ؛ ومعظم الصحف اليومية السياسية ، فى جميع الأمم ، تخصص للأدب والنقد والعلوم والفنون والمسرح والاقتصاد والمالية والرياضة صحفاً خاصة حافلة بمختلف البحوث والشذور القيمة ، هذا عدا القصة الصغيرة اليومية ، وعدا الرواية المسلسلة ، وعدا الصور الكثيرة ؛ ثم هنالك المجلات الأدبية والعلمية ، الأسبوعية والشهرية ، وقد بلغت مدى عظيما من التقدم والذيوع ، وأضحت مسرحا لأعظم الأقلام ، ومعرضاً لمختلف البحوث وأهمها . وتمتاز المجلة على الكتاب بتنوع مادتها ، فهى تجمع بين الفصول الأدبية والعلمية والسياسية ، والقصة والمسرح والأزياء ، ويكاد كل عدد منها يكون كتابا مستقلا بذاته ، وهى دائما متنوعة متجددة ترضى مختلف القراء والأذواق بأكثر مما يرضى الكتاب الموحد الفكرة والموضوع ، والصحافة الأدبية هى بلا ريب أشد خصوم الكتاب ومنافسيه ، وأشدها تأثيراً فى مركزه ومدى انتشاره ، لأنها تبدو فى بعض ألوان من الكتاب ، وتأخذ بالسهل الموجز منها ، حتى انك لترى أحياناً موضوعات وبحوثا خطيرة تشغل فى الكتاب مجلداً أو مجلدات تلخصها المجلة فى فصل لا يتجاوز عدة صفحات ، وربما كان ملخصها مؤلف الكتاب ذاته ؛ هذا الى ماتتوخاه المجلة من اختيار الموضوعات الشائقة والأساليب السهلة التى تغرى كثيراً من القراء على تفضيلها على الكتاب

هذه المنافسة الأدبية القوية كانت وما تزال شديدة الوطأة على الكتاب ، ولم يكن فى وسع الكتاب أن ينافسها ، لأنها تجرى طبقاً للعوامل النفسية وطبقاً لتطور الظروف الاجتماعية ؛ أضف الى ذلك المسألة الاقتصادية أعني مسألة الثمن ، فالصحف والمجلات تعرض بضاعتها الأدبية على الجمهور بأثمان بخسة يستطيع أن يؤديها الملايين ، معتمدة فى ذلك على كثرة انتشارها وما تجنيه من أجور الاعلانات . ولكن الكتاب القيم لم يستطع حتى اليوم وليس فى الامكان أن ينزل الى هذا المستوى . نعم حاول كثير من المؤلفين والناشرين أن يسايروا هذا التطور فى الذوق الأدبى ، فعمدوا الى اخراج الكتب السهلة الموجزة ، والى معالجة الموضوعات العلمية الخطيرة فى أساليب خفيفة عادية مما يعرف اليوم بتبسيط العلوم ، وهى طريقة تعالج بها اليوم أخطر وأعقد الموضوعات العلمية فى الصحف والمجلات ، وان كانت لا تؤديها دائما بما يجب من الدقة والتحقيق ، وكذلك عمد كثير من المؤلفين والناشرين الى إخراج الموضوعات الخطيرة العلمية والسياسية والاجتماعية وغيرها فى ملخصات صغيرة ، وفى فصول متناثرة ، أو الى جمع القطع المختارة فى كتاب واحد ليكون له بذلك ما للمجلة أو الصحيفة من التنوع ، وعمدوا فوق ذلك الى اخراج هذه الكتب فى

طبعات شعبية رخيصة لتكون فى متناول جميع الطبقات ، ومن المعروف أيضاً أن كثيراً من كتاب القصص العالميين يخرجون اليوم كتبهم فى طبعات شعبية عديدة ، ويتحرون اختيار القصص والحوادث المثيرة والشائقة ، وكثير منهم يفضل كتابة القصص الشرطية ، وقطع السينما لأنها تدر عليهم أرباحا حسنة . والخلاصة أن الكتاب اضطر تحت ضغط هذه المنافسة الشديدة التى شرحناها أن يتطور نوعا وأن يساير الذوق الأدبى والظروف الاجتماعية الجديدة . ولكنه مع ذلك لا يزال بعيداً عن أن يسترد مركزه أو يقاوم هذا التيار الجارف الذى يهدد مركزه وقيمته وتقاليده

وقد غدت السينما والراديو من أشد خصوم الكتاب ، فنى السينما تلخص أو تمسخ أمهات القصص حتى يمكن اخراجها فى صور تلائم الجمهور ، ولا يقع الجمهور منها إلا على الجانب القصصى ، ولا يلمس شيئاً من قيمتها الأدبية أو الفنية . وأما الراديو فهو أشد خطر على الكتاب من كل ما تقدم ، وربما كان هذا الخطر اليوم فى بدايته ، وقد يستفحل كثيراً فيما بعد ، فنى الراديو تنقل اليوم فى سائر انحاء العالم جميع الأنباء والأحاديث السياسية ، ومعظم المحاضرات العلمية والأدبية والنقدية الهامة ، وتذاع فيه ملخصات عن معظم المباحث والموضوعات الخطيرة التى تعنى بها الحركة الفكرية ، ومزيته فى أنه ينقل ذلك كله للسامع وهو جالس فى مكانه الوثير فى المقهى أو المنزل ، لا يكلفه عناء القراءة ، وخطره على الكتاب والحركة الفكرية فى أن الاذاعة الموجزة السهلة تمسخ معظم الموضوعات العلمية والأدبية التى تتناولها ، وتصرف بذلك ملايين السامعين عن قراءتها وتتبعها فى مصادرها القيمة .

***

وفى ظل الطغيان السياسى الذى يسود اليوم بعض الأمم المتمدنة تواجه الحركة الفكرية ويواجه الكتاب أشد المخاطر والأزمات ، فنى بلاد كايطاليا والمانيا وتركيا وبولونيا وروسيا تسودها النظم « الدكتاتورية » ، وتخمد الحريات السياسية والفكرية ، تصطبغ الثقافة والتفكير بنفس الألوان التى يفرضها الطغيان وتقتضيها مصلحته وغاياته السياسية ؛ وحيثما تنعدم حرية الفكر ، تخبو حركة التأليف الحر وتغدو الصحافة والمفكرون والكتاب طوعاً أو كرهاً جنود النظام القائم ، ويطارد المفكرون الأحرار ، وتطارد كتبهم بلا رأفة ؛ وفى ظل هذه الأنظمة الطاغية ، التى يزعم فيها الطغاة وأعوانهم أنهم يعبرون عن رغبات الشعب وآماله وتفكيره ، يختفى الانتاج الفكرى القيم ويتحول إلى نوع من الأدب الذليل الخاضع ، يشيد جله بالطغاة ونظمهم ومبادئهم وأعمالهم . وقد شهدنا من مناظر هذا الاضطهاد الفكرى فى العهد الأخير ألواناً شنيعة فى ألمانيا ، فى ظل الطغيان الهتلرى ، حيث طورد جميع المفكرين والكتاب الذين لم يسايروا الطغيان الجديد ولم يرتضوا فظائعه ، ففر منهم من فر خارج ألمانيا ، وقتل من قتل ، واعتقل من اعتقل ؛ وشرد كثير من أقطاب الأدب الألمانى المعاصر ، وحظر على دور النشر الألمانية أن تتعاقد معهم أو تنشر لهم شيئاً ، ومنعت كتبهم من التداول ، وأحرقت كتب كثيرة فى أوائل عهد النازى فى شوارع برلين على نحو ما كان يجرى فى العصور الوسطى على يد محاكم التحقيق ؛ والخلاصة أن الانتاج الأدبى فى المانيا قد أصيب فى عهد الطغيان الهتلرى بضربة مميتة ، وأضحت الثقافة الألمانية والأدب الألمانى الحاضر والصحافة الألمانية الحاضرة صورة متماثلة مملة للمبادىء والنظريات والآراء التى يفرضها الطغيان الحاضر على الشعب الألمانى . وحيثما يوجد الطغيان السياسى يمر الانتاج الأدبى دائماً بهذا الدور ، ويصاب التأليف بمثل هذا العقم والتماثل ويواجه الكتاب أشد المحن .

وهنالك أخيراً روح العصر ؛ فعصرنا عصر سرعة ورياضة ، والسرعة تدفع كل الناس بلا هوادة ، وشغف الرياضة يستغرق اهتمام الشباب وفراغه ؛ فلا يجد من الوقت أو الرغبة ما يحمله على التماس القراءة ، ولا سيما القراءة الرزينة الهادئة . وإذا أتيحت للشباب فرصة القراءة اليوم فماذا يقرأ ؟ الكتب أو المجلات الخفيفة ، المبتذلة غالباً ، لأنه لايقرأ دائماً للفائدة وانما يقرأ للهو فقط ، ولا يريد أن يبذل جهوداً عقلية فى استيعاب كتب الثقافة الرفيعة ، وهذه الروح السيئة بلا ريب ، من أقوى العوامل فى صرف أنظار الشباب عن الكتاب

***

وهل نحن بحاجة للقول بأن جميع ماقدمنا من العوامل والظروف ينطبق على سير الحركة الفكرية والانتاج الأدبى فى مصر كل الانطباق ؟ إن الكتاب يواجه فى مصر نفس الأزمة الخطيرة التى يواجهها فى جميع الأمم المتمدنة ؛ وقد صرفت الصحافة والمجلات الأدبية والقصصية ولا سيما المجلات الخفيفة

والماجنة أنظار الشباب عن القراءة الرزينة المفيدة ؛ وأفسد الأدب المبتذل ، ولا سيما الأدب الجنسي ذوق الشباب وعقليته ، فانحط مستوى تفكيره وتقديره ؛ وأضحى الكتاب القيم لايجد بكل أسف بين الشباب كثيراً من الأنصار . أضف إلى ذلك ظرف مصر الخاص وهو انتشار الأمية فيها ، وضعف نسبة المتعلمين إلى حد لايزال يزرى بكرامتها ، ولولا ان الشعوب التي تتكلم العربية التي نكتب بها في مصر تبلغ زهاء سبعين مليوناً ، لكان خطب الانتاج الأدبي العربي مضاعفاً ؛ ومع ذلك فالمعروف أن الكتب العربية القيمة تواجه أشد الأزمات ، وأن الكتاب الذي لايطبع منه سوى الفي أو ثلاثة آلاف نسخة يمكث أعواماً طويلة قبل أن تنفد نسخه بين السبعين مليوناً من الشعوب التي تتكلم العربية

والخلاصة أن الكتب تواجه أشد أزمة عرفتها في العصر الحديث . وقد تتفاقم هذه الأزمة ، ويزداد مركز الكتاب حرجا ويزداد ذيوعه كساداً ، ولكن الكتاب لايمكن مع ذلك أن يختفي أو يموت . ذلك أن الكتاب قد ولد مع المدنية الانسانية ، ولبث مدى العصور أقدس متنفس للذهن البشري ، وما دام الذهن البشري ينتج ويعبر عما يجول فيه ، فلا بد من التجائه إلى الكتاب ، وقد مر الانتاج الفكري ومرت الكتب خلال العصور المظلمة بمحن شديدة ، ولاذت بالاختفاء أيام الغزوات البربرية في عهد الهون والوندال ، ولبثت في الأمم الأوربية مدى قرون تقبع في ظلمات الأديرة ، ولم تجد متنفساً وملاذاً إلا في الدول الاسلامية ، في ظل المدنية الاسلامية الزاهرة ؛ واستمرت محاكم التحقيق (التفتيش) عصوراً تجد في مطاردة التفكير الانساني وفي مصادرة الكتب وحرقها ؛ ولكن هذه الخطوب والمحن كلها لم تخمد جذوة التفكير الانساني ، ولم تقض على حياة الكتاب ؛ وخرج الكتاب ظافراً من هذه المحن ، وجاءت المطبعة في فجر العصر الحديث فاستطاع بعونها أن يغمر العالم ؛ ولم تقو عصور الطغيان ونظمه على مغالبة الذهن البشري ؟ فاذا كان الكتاب يجوز اليوم أزمة فكرية اجتماعية ، نظراً لتطور الحياة والاختراعات العلمية ، فتلك أزمة مؤقتة ، سوف يتاح للكتاب أن يتغلب عليها متى استطاع أن يهيىء نفسه للسير مع الظروف الجديدة في ألوان لاتغض من قدره ورفيع مكانته ؟

محمد عبد الله عنان

المحامي

ابراهيم بك مرزوق

ومحمد سعيد بك

بقلم الأستاذ محمود خيرت

نقلت الرسالة في عددها الرابع والخمسين مادونه المغفوز له تيمور باشا من حياة المرحوم ابراهيم بك مرزوق وأنه كان شاعراً مجيداً نظم كثيراً من المقطوعات والقصائد . ولكنه مع توسعه في ذكر مولده ونشأته وأدوار تقلبه في مناصب الحكومة أوجز كثيراً في حياته الأدبية مقتصراً على أن المرحوم محمد بك سعيد هو الذي جمع ديوانه ونشره في سنة ١٢٨٧ هـ ، فلم يتعرض الى شيء من شعره ليعطينا صورة ريانة من تلك الحياة .

وقد كنت أود لو أن بين يدي ديوان هذا الشاعر الذي لم أهتد اليه في المكاتب ، فأسد هذا الفراغ ، ومع ذلك فانه لايزال عالقاً في ذهني منه هذان البيتان :

لم يُرضني الهجرُ حتى عُمـــر الحبيب تقضى
والأرض ضمَّته قبْلي ياليتني كنت أرضا (أرضى)

وقد لايكون هذا القدر القليل كافياً للحكم على هذا الشاعر من حيث ميوله المختلفة في مجموعها وعلاقتها بالبيئة التي عاش فيها ، ولكنه على كل حال شاهد صدق على ما كانت عليه نفسه من الرقة وكان عليه أسلوبه من الفخامة والحلاوة والسهولة ، فهذان البيتان مع أنهما من المجزوء تضمنا قصة بحالها يجول فيها الحب وجنّاته ، والهجر وأناته ، والموت وأظفاره ، والدمع وأنهاره ، وهو بين الحبيب الذاهب ، واليأس الغالب ، يعود باللائمة على نفسه التي لم تقنع بالهجر وتجد لذتها فيه ، حتى ضمته الأرض قبل أن تضمه حنايا قلبه الشجي المحترق ، وهو مع كل هذا لايفوته حكم الصناعة فيخرج لنا جناسا لانحس عنده جهدا ولا تكلفاً ولا مللاً ، يجمع بين الندم على عدم الرضى ، والحسرة على فوز الأرض بالحبيب من دونه

***

على أن الذي هداني الى هذا الديوان وأنا فتى هو نفس

المرحوم محمد سعيد بك الذى عنى بجمعه ونشره ، فقد كان كثير التردد على المرحوم جدى ، (وكان صديق أبيه) ، وكان من تردده علينا أن حبب الى نفسى قرض الشعر فى ذلك العهد .

ولقد كان محمد سعيد بك واسع الاطلاع غزير المادة فياضاً مجيداً . أذكر أنه زارنا مرة فوجد مني قريباً جميل الطلعة ، فمال علىّ هامساً فى أذنى ما اسمه ؟ قلت مصطفى ، وعند ذلك انفرد بنفسه فى ركن من الغرفة ، حتى اذا مضت أربع دقائق أقبل علىّ يقول بصوت خافت : اسمع ، ثم أنشدنى هذا البيت :

وأعطشني وجدى الى رشف ريقه
لفرط صباباتى فمذ قال مُصْ طَفَى

ومن شعره رحمه الله فى سيدة رثاها :

أيها المغرور بالدنيا اعتبر ... فبوعظ كم ينادى الزمن
بينما الانسان فى الدنيا اذا ... قائلٌ هذا فلان يدفن
هاهنا درة خدر فارقت ... قصرها الزاهى وهذا المسكن
أنشد الرضوان فى تاريخها ... رحمة الله عليها جلشنُ

وجُمَّل عجز البيت الأخير يعطيك تاريخ السنة التى توفيت فيها تلك السيدة ، واذا علمنا أن محاولة الحصول على التاريخ عند قرض الشعر من الأمور المعقدة التى لايمكن فيها الجمع بين التاريخ وحلاوة الشعر أدركنا من هذا الشعر مقدرة هذا الشاعر الكبرى فى تذليل هذه الصعوبة ، فان ارسال الرحمة فى هذه الصيغة التى ألفها الناس وذكر اسم المرثية والحصول مع ذلك على التاريخ المطلوب فى شعر من بحر الرمل حلو الألفاظ والمعنى كاف للتدليل على مكانته . ولقد بلغ من مقدرة محمد بك سعيد أنه نظم مرة قصيدة من عشرين بيتاً كان كل صدر وكل عجز منها تاريخاً ، وقد سمعت ذلك من جدى رحمه الله ، وكان وقتئذ وكيلا للمطبعة الأميرية ، ولعل هذه القصيدة منشورة بالوقائع الرسمية التى كانت تنشر وقتئذ له وللمرحوم الليثى وغيرهما من الشعراء

وقد روى لى محمد سعيد بك رحمه الله انه هو الذى وضع القطعة الغنائية المشهورة التى مطلعها :

بستان جمالك من حسنه ... أبهى وأجمل م البستان

على خلاف ما شاع بعد وفاته من أنها للمرحوم اسماعيل باشاصبرى هؤلاء الناس الموفقون فى الأدب والشعر قد لا يعلم الناس عن كثير منهم شيئاً ، وهكذا يذهبون وتذهب معهم آثارهم . روى لى المرحوم السيد مصطفى لطفى المنفلوطى أن كتبة محكمة الاسكندرية الشرعية كان رئيسهم (الباشكاتب) فى وقت ما رجلا نسيت اسمه خفيف الروح جيد الشعر ، ولكنه كان مولعاً بالشراب . وقد صادفه مرة أحد أصدقائه وهو يحتسى فى حانوت خمار فطلب اليه أن يسايره حيث هو ذاهب (وكان لا يزال فى القنينة نحو ثلثها) فأبى قائلاً وبلسانه التواء من أثر السكر

مضى بها مامضى من عقل شاربها ... وفى الزجاجة باقٍ يطلب الباقى

ولا أدرى اذا كان هذا البيت من مقوله أو قديم ، ولكنه على كل حال دليل على سرعة ارتجاله أو سرعة خاطره

ومما يدل على ظرف هذا الرجل أن حضرة القاضى رئيس المحكمة كان معتاداً أن يقبل الموظفون (وهو معهم) يده عند كل صباح . ولكنه بلغه مرة انه مدمن على الخمر ، وانه يعترض فى الطرقات الفتيات المتجرات بالهوى ، فغضب عليه وأسرف فى تعنيفه حتى اذا ضاقت نفسه خرج من صمته صائحاً ليكن مابلغ فضيلتك عنى صحيحاً فمالك وسلوكى فى غير أوقات عملى . وعند ذلك جُنَّ جنون الشيخ وصرخ فيه أن اخرج من هنا . أنت طالق . أنت طالق . أنت طالق ..!

وفى صباح اليوم التالى لم يره الشيخ مع باقى الكتبة فتذكر ما كان من أمره معه بالأمس ، وأرسل فى طلبه ، ولكنه أبى أن يحضر فذهب اليه بنفسه ، وعند ذلك أسرع صاحبنا فغطى وجهه بطرف ثوبه ... وفى هذه الحركة من حسن الاشارة ما فيها بعد صدور ذلك اليمين ...

رحمهم الله جميعاً

محمود خيرت
بقلم قضايا وزارة المالية

في ربوع جوته وفرتر

من رســـالة

فرنكفورت — صباح الأحد ٨ يونيو سنة ١٩٢٤

.... الاسرة التى أقيم فيها مؤلفة من أرملة وأولادها : بنتين وصبياً أصلهم من الريف ، من وتسلار حيث كان جوته موظفاً ، وحيث عرف شرلوت وأحبها ، وكتب آلام فرتر — نزحوا الى فرنكفورت طلباً للعيش ، وسأقص عليك الآن قصة كبرى الابنتين ، ويبلغ عمرها أربعة وعشرين عاما —

عرف قلبها الحب وهى فى السادسة عشرة حينما كانت فى وتسلار ، وأحاطت بحبيبها ظروف قاسية اضطرته أن يتزوج من سواها ، فلم تطق البقاء فى وتسلار فرحلت الى فرنكفورت تبحث عن وظيفة . . . وتبعها شاب من مواطنيها كان يحبها ولا يجرؤ على التصريح لها بحبه . تبعها ليدرس بالجامعة ، واصطحبا وتكتم الحب ثلاث سنوات قضى اثنتين منها فى ميدان القتال ، فلما انتهت الحرب عاد الى فرنكفورت ليتم دراسته ، وعادت علاقة فلتر بحبيبته تيا (Thia)

باح لها بحبه وطلب يدها ، وظنت هى أنها تحبه فأجابته بالقبول ، وتمت الخطبة ، ومرت سنتان وهو يستعجل الزواج فتؤجله محتجة بغلاء الأثاث وهبوط قيمة المارك فى ذلك الحين ، فلما زاد إلحاحاً صارحته برغبتها فى فسخ الخطبة ، لأنها لا تستطيع أن تجد معه السعادة التى تنشدها ، فهى مادية وهو خيالى ، هى تحب الرقص ولا تفهم الموسيقى ، وهو يحب الموسيقى ولا يعلم الرقص ، فكانت بينهما القطيعة .

وهنا أنقل اليك أيها الصديق قطعاً من رسائله التى كتبها بدموعه بل بدماء قلبه ، والتى أطلعتنى الأم عليها ذات مساء وتركتها لدى ليلة لأقرأها .

يقول فلتر فى خطابه الأول : « مهجور ! أنا مهجور ! وما أطول الليل على مهجور مثلى فى هذه المدينة الكبيرة ! لو كنت فى قرية صغيرة لخرجت الى الجبال والغابات أشكو اليها حبى وأحدثها عن بؤسى ، ولكنى فى هذه المدينة الكبيرة اذا خرجت لا أجد إلا السكارى وهم عائدون آخر الليل الى مساكنهم ، والنساء الخليعات وهن يتسكعن فى زوايا الطرق وعلى مقاعد المتنزهات »

وعلم أن « تيا » أخذت ترفض تسلم كتبه ، فكتب الى أمها يقول : « قولى لتيا إننى سأكون من نفسى شخصاً آخر كما تحب هى أن أكون . قولى لها إننى تقدمت فى دروس الرقص وأصبحت غيرى بالأمس . قولى لها تسمح لى بأن أراها مرة واحدة ، وسوف لا أحدثها عن حبى ولا أذكر لها شيئاً عن الماضى . قولى لها ترحمنى فانى بدونها لا يمكننى أن أعيش . اسأليها عن ذنبى لديها ، فان كان لى ذنب غير شدة حبى فسأكفر عنه بدمى وحياتى . »

وكتب فى ثالث : « فى مثل الغد ولدتُ ، ولقد تعودت منذ خمس سنوات أن أتناول هديتى من المحبوبة « تيا » قبلة وعهداً على حبنا ، قولى لها إننى أنتظر هديتها غداً ، وأن تسمح بالعودة الى مثل ما كنا . سأحضر بنفسى اليكم وكلى أمل ، فأستحلفكم ألا تصدمونى فى كل آمالى . »

وعلمت أنه لما حضر رفضت تيا أن تقابله فأرغمتها أمها على ذلك ، فأساءت لقاءه ، فكتب الى أمها : « قولى لها تجربنى شهراً واحداً ، وسوف لا أحدثها عن حبى ، غداً تبدأ حفلات بيتهوفن السنوية . ذكريها أنها لما سمعتها لأول مرة ، وكانت معى بكت . . . وفى تلك الليلة حدثتها لأول مرة عن حبى . . . لقد اشتركت لها ولى ، وسأمر بكم غداً لأرافقها »

ولما بلغه أنها تخطب الى آخر كتب الى أمها :

« إنى آمل وآمل ولا أستطيع أن أيأس قبل أن يضع القسيس على رأسها إكليل الزواج من غيرى ، آمل لأن حبى لها لا يفنى ، ولأنى بدون هذا الشعور لا أستطيع أن أحيا . »

وكانت آخر رسائله هذه الكلمات : « سوف تتزوج من غيرى ! إن هذا يطن فى رأسى طنين حلم مروع ، وما كنت لأتصور حدوثه يوماً من الأيام ، وهل هناك أحد فى العالم يستطيع أن ينيلها من السعادة ما أستطيع ؟ . قولى لها إنى أتمنى لها الهناء من صميم فؤادى ، وأن الشىء الوحيد الذى أحذره أن تذكرنى يوماً من الأيام بالأسف حين لا ينفع الأسف . . . . وداعاً الى الأبد ! . . . »

وفى الشهر القادم موعد حفلة زفافها الى خطيبها الجديد ، وهو دميم الخلقة ، قصير ، أعرج ، ولكنه غنى ، فلقد كان أيام هبوط قيمة

[البقية فى أسفل الصفحة التالية]

البغـــــاء

بقـــلم حبيب المعوشى

لقد كثرت فى هذه الأيام الأقاويل وتباينت الآراء فى البغاء ومنعه من البلاد ، واقصاء البغايا الأجنبيات عنه عملاً بقانون يسن لهذا الغرض . فمن مؤيدين لهذا القانون ، ومن معارضين له ، ولكل فريق فيما يدّعيه حججه وبراهينه . فالذاهبون الى تحريم البغاء مدنيا يقولون إنه آفة الاجتماع ومصدر الفاحشة ومجلبة البوائق ، وانه الحائل الكبير دون الزواج وتكوين الأسر ، وانه العقبة القائمة فى وجه كثرة المواليد الى غير ذلك من الأدلة . والقائلون مدنياً باباحته يؤيدون دعواهم بأنه السور الذى يصون الكثير من شرف المحصنات ، والحاجز الذى يخفف — ان لم يقف — الاعتداء على شرف العذارى وأعراض الأسر . أما أنا فلست أريد بهذا المقال أن أؤيد رأياً أو أخالف آخر ، ولكننى إجابة لطلب بعض الاخوان من الأدباء رأيت أن أنشر بايجاز ما أعرفه من هذا القبيل وما قيل بهذا الشأن فى العصور الخالية وما كان للبغايا لدى مختلف الأمم من المنزلة والمقام .

كانت البغايا فى العهد القديم من بواعث الحمية فى الرجال . فكنّ ينبهن فيهم الحماس البدنى والنشاط العقلى ويحملنهم على الدفاع والجهاد والتضحية ، والتفانى فى سبيل الوطن والعقيدة . ففى حرب شعواء شهرت على قورونتية قامت البغايا فى اليونان يشجعن الرجال ليذودوا عن الحمى ، فهبّ الرجال هبةً واحدة وخرجوا بحشدهم زمراً وكتائب لمواجهة العدو مستبسلين مستميتين بفضل حضّ البغايا واغرائهنّ . ولم تقف البغايا عند هذا بل قمن وجذذن شعورهن — وكان الشعر فى ذلك العهد أنفس حلى النساء وأجمل أزيائهن — وقدّمنها قرباناً للزُهرة آلهة الجمال كى تساعد الاغريقيين على أعدائهم وتهبهم الفوز والظفر ، وبفضل ما أبدينه من ضروب التضحية والحضّ والتنشيط واستفزاز الهمم انتصر الاغريقيون انتصاراً عظيما ، وعزوا أهم أسباب فوزهم للبغايا ، فأكبروا عملهنّ وأعلوا قدرهنّ — ومثل هذا كان يجرى أيضاً فى كثير من البلاد الأخرى بحيث خصهنّ رجال تلك العصور الخالية بالمكان الأول فى الاجتماع وقالوا إن التمدين لا يقوم إلا بهنّ ولا يزداد انتشاراً إلا بمعاونتهن ، وقد شبههنّ بعض الكتاب الأقدمين بأريج ذكى يعطر الجو ويولى مستنشقيه الاغتباط ويحرك فيهم الهمة والجرأة والاقدام .

وظلّ فيهن على هذا حتى ظهر الدين المسيحى فحرمت النصرانية البغاء تحريماً مطلقاً وجعلت من أهم أسس الكمال فى الدين قهر الجسد وكبح الشهوات البدنية ، ومنذ العهد الذى انتشرت فيه هذه التعاليم أخذ نجم البغايا فى الأفول ، وبدأ مجدهن فى الزوال ، فأمرت كنيسة المسيح بنبذهن من الاجتماع ، فأقصين من المجالس ، واضطهدن وحقرن ، حتى غدون أحط من سقط المتاع

وعند ما كانت الأوبئة كالطاعون والهواء الأصفر تتفشى فى العالم أو تصيب الأمم نكباتٌ ومجاعات كان الناس ينفون البغايا من البلاد ويرهقونهن بألوان العذاب ويذيقونهن شر الميتات ظناً منهم أنهم بما يفعلون يلطفون غضب السماء .

فنى بعض البلاد كان الزواج محرماً على البغايا ، وفى بعضها كانت البغايا يعزلن فى الحظائر شأن المواشى ، وفى عهد البابا بولس

المارك يضارب — مع اليهود — على إسقاط عملة بلاده فأثرى

وقد سمعتها أمس فقط تقول إنها تأسف على قلتر ، فصرخت أمها فى وجهها تقول « ألم يكن ذلك من قبل ؟ . » فقلت لهما إننى أتمهد بأن أرده اليهم لأنه معى فى الجامعة . فقالت الأم « هذا مستحيل ، انك لاتعرفه ، إن كبرياءه جرحت بلا شفقة ، فلا يمكن أن يعود ، انك لاتعرفه » — والحق ياصديقى انك لو رأيته لما رأيت إلا الكبرياء والعظمة ، هو ليس بالجميل . . طويل القامة كبير الوجه ، واسع العينين ، تحيط بهما هالة سوداء ، بوجهه خطوط كثيرة وتجعدات عميقة ، يتكلم بصوت خافت يكاد لايسمع مع كبر جسمه ، وأظهر مايتجلى عليه الكبرياء والتكتم ، وقد سألته يوماً عما ينوى عمله بعد حصوله على الدكتوراه فقال : انه سوف يرحل إلى أمريكا الجنوبية ليعيش هناك ، فقلت له ألا يعز عليك مفارقة أهلك ووطنك ؟ فاجاب « لا . ليس هنا أحد يهمه أمرى »

الرابع أى فى القرن السادس عشر كان الشبان الأشراف فى إيطاليا يعدُّون التغاضى عن حرق منازل العهر عاراً وفضيحة . وفى مدينة تولوز فى فرنسا كانت البغى التى تجرؤ على اجتياز عتبة أحد الأديرة تعدّ جانية فيقبض عليها وتلقى فى السجن ، ثم تساق للمحاكمة فيحكم عليها بأقسى عقوبة .

وفى مدينة بوكير من أعمال فرنسا أيضاً كان يفرض فى كل عام على البغايا الجرى عاريات فى أحد الميادين إلى أن تنقطع أنفاسهن وتسكت دقات قلوبهن ، وفى مدينة مانطو فى إيطاليا كانوا يوجبون على البغى شراء ما تلمسه من الأشياء لدى مرورها فى الأسواق بحجة أنها دنسته بلمسها ولوثته بيدها النجسة الذليلة وأفسدت تجارته على صاحبه . وفى هذه المدينة أيضاً كان يحتم على البغايا تعليق الجلاجل فى أعناقهن عند ما يطفن فى المدينة أسوة بالمصابين بداء الجذام تنبيهاً للمارة كى يبتعدوا وتحذيراً لهم من العدوى .

هذا قليل من كثير مما كان يجرى على البغايا فى القرون الوسطى ، ولكن عند ما أخذ التمدين الحديث يتمشى فى أنحاء العالم قل اضطهاد البغايا وأبيح لهن مخالطة الناس والظهور فى المجتمعات والأندية والمجالس ، بل عدّ البعض وجودهن من عوامل النهوض والارتقاء ، وللبلوغ بالتمدين إلى أرقى درجات الكمال . ألسن هن اللواتى يبتدعن التأنق فى المعيشة ، ويطلقن الأزياء البديعة فى العالم، ويروجن أسواق الحلى الغالية ، والملابس الأنيقة ، والمنسوجات الناعمة ، والمطارف الثمينة ، والمفروشات الفاخرة ؟ أوَلسنَ هن اللواتى يخرجن من خزائن الشيوخ الاشحاء ما اكتنزوه من تحف ، وكدّسوه من نفائس ، وخبّأوه من أموال ، فيغدقنها على الأسواق وينتفع بها المجموع الانسانى .

هذه هى الكلمة التى توخيت نشرها فى هذا الباب لعلّ فيها فائدة ، ومنها يرى أن البتّ فى تحريم البغاء أو إباحته يستلزم كثيراً من التروى والتفكير لمعرفة أيهما أفضل وأصلح للبلاد ، ولا نخال حكومتنا وهى لم تزل مترددة فى سن قانون التحريم إلا مواصلة الفحص والتمحيص حتى تهتـــدى إلى الأصوب والأنفع فتقره .

وبهذه المناسبة أذكر ما قاله ديموستين كبير خطباء أثينا ، من ثلاثة وعشرين قرناً ونيفاً — فى النساء والبغايا وما يبتغيه الرجال منهن وهذا تعريبه :

« نحن الرجال ، بحاجة الى ضروب ثلاثة من النساء :

المرأة الرشيدة المثقفة لنشغل بها العقل ونلهى بها النفس

والمرأة البارعة فى الجمال لترضى بها الحواس ونسكن ثورات الجسد

والمرأة الصالحة الحكيمة لتلد لنا البنين وتدبر لنا المنازل . »

وقد رأى أن وجود البغايا فى البلاد ضرورى لاستفزاز همم الرجال إبّان الحروب لأن المحصنات قد يحجمن عن ذلك كيلا يعرّضنَ أزواجهن وفلذات أكبادهن الى الهلاك .

وقال أحد علماء الفرنسيين وكتابهم فى البغاء وفى الدفاع عن البغايا ما معناه :

« ينحى الناس باللائمة على البغى التى تبيع جسدها وينبذونها ويصمونها بالعار ، ويمطرونها وابلاً من السبّ والثلب ، على حين ان الكثيرين منهم يبيعون عقولهم وأفكارهم وضمائرهم ، فاذا كان العقل فى حكم الناس أفضل من الجسد وأسمى منه منزلة ، فلماذا يُحجم عن نبذ ممتهنيه ويغضى عن تعيير بائعيه ، بينا أن بيعه أجلب للعار والثلب والاستنكاف من بيع الجسد . ؟

ثم لماذا نرانا نجلّ من الرجال العظام والعلماء الأعلام من باعوا فكرهم وحريتهم وأباحوا عقولهم لقاء الدرهم . أليس هؤلاء أدعى للاحتقار والازدراء والنبذ من البغى التى تبيع جسدها وهو المادة الدنيئة الحقيرة الخاضعة للعقل ودونه قيمة ومقاماً . ؟

أجل ، ولكن بينا الناس يتخبطون فى الخطأ والغواية ويعمهون فى كثير من الضلال ، وشرّ الضلال احتقار المرأة البائعة جسدها واجلال الرجل الذى يسلم للعهر عقله وفكره وضميره وحريته الوطنية والأدبية .

فلا مراء أن فى هـذا الكلام حقائق يحسن النظر فيها وتعاليم يجـــدر بالعاقلين والنابهين التسليم بصحتها والاستفادة منها — سدد الله خطواتنا وهدانا سواء السبيل »

حبيب المعوشى

مخترع الرقاص منجم مصرى

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

يعتقد كثيرون أن الرقاص (بندول الساعة) من مخترعات العالم الايطالى الشهير غاليلو (١٥٦٤ م — ١٦٤٢ م)، وأن هذا العالم أول من استطاع أن يستعمله ويستفيد منه. وهؤلاء الكثيرون يستغربون إذا قيل لهم إن هذا غير صحيح، وإن الفضل فى اختراعه يعود الى عالم مسلم عربى، عاش فى مصر ونشأ على ضفاف النيل، وقد سبق غيره فى استعماله فى الساعات الدقاقة؛ وبذلك يكون غاليلو مسبوقاً بهذا الاختراع بستة قرون. أقول إنهم يستغربون وأزيد على ذلك وأقول إنهم قد يستهزئون، ولكن ما كان لنا أن نجرؤ فننسب هذا الاختراع الجليل الى العرب لولا اعترافات المنصفين من علماء الافرنج، فاذا تصفحت كتاب تاريخ العرب للعالم الفرنسى المنصف سيديو تجد نصاً صريحاً بأسبقية العرب فى اختراع الرقاص: « ... وكذا ابن يونس المقتفى فى سيره أبا الوفاء ألف فى رصدخانته بجبل المقطم الزيج الحاكمى، واخترع الربع ذا الثقب، وبنـدول الساعة الدقاقة » (١) . وكذلك يقول (تايلر Tayler) و (سدويك Sedgwick) إن العرب استعملوا الرقاص لقياس الزمن (٢) .

من هنا يُستنتج أن العرب سبقوا غاليلو فى اختراع الرقاص وفى استعماله فى الساعات الدقاقة. أنا لا أقول إن العرب وضعوا القوانين التى تسيطر على البندول، ولا أقول إنهم وضعوا ذلك بقالب رياضى على الشكل الذى نعرفه الآن، ولكنى أقول إنهم سبقوا غاليلو فى اختراع الرقاص وفى استعماله، وفى إيجاد علاقته بالزمن؛ وفوق ذلك كان لديهم فكرة عن قانون الرقاص (قانون مدة الذبذبة). يقول سمث العالم الأمريكى فى كتابه تاريخ الرياضيات فى ص ٦٧٣ من الجزء الثانى ما يلى: « ومع أن قانون الرقاص هو من وضع غاليلو إلا أن كمال الدين بن يونس لاحظه وسبقه فى معرفة شىء عنه، وكان الفلكيون يستعملون البندول لحساب الفترات الزمنية أثناء الرصد . . . »

(١) سيديو — تاريخ العرب ص ٢١٤

(٢) تايلر وسدويك — مختصر تاريخ العلم ص ١٦٣

يظهر مما مر أن العرب عرفوا شيئاً عن القوانين التى تسيطر عليه، ثم جاء من بعدهم غاليلو، وبعد تجارب عديدة استطاع أن يستنبط قوانينه، إذ وجد أن مدة الذبذبة تتوقف على طول البندول وقيمة عجلة التثاقل، ووضع ذلك بشكل رياضى بديع وسّع دائرة استعماله وجنْى الفوائد الجليلة منه.

وأخشى أن يختلط الأمر على القارئ فيظن أن كمال الدين بن يونس هو نفسه ابن يونس الذى ذكره سيديو، مع أن هذا خلاف الواقع، فكمال الدين بن يونس كان « علامة زمانه، وواحد أوانه، وسيد الحكماء، قد أتقن الحكمة، وتميز فى سائر العلوم (١) » . ولد فى الموصل سنة ١١٥٦ م، وتوفى بها سنة ١٢٤٢ م، وتلقى العلم فى بغداد فى المدرسة النظامية. كان ذا اطلاع واسع على العلوم الشرعية، وتعيـين مدرساً فى الموصل، قرأ الطب والفلسفة « ويعرف من فنون الرياضة من أقليدس، والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطى وأنواع الحساب المفتوح منه والجبر والمقابلة والأرثماطيقى بطريق الخطائين، والموسيقى والمساحة، معرفة لا يشاركه فيها غيره إلا فى ظواهر هذه العلوم دون دقائقها والوقوف على حقائقها، واستخرج فى علم الأوفاق طرقاً لم يهتد اليها أحد . . . (٢) »

ولنرجع الآن الى ابن يونس المصرى، فهو مخترع الرقاص، واسمه أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفى المصرى. كان من مشاهير الرياضيين والفلكيين الذين ظهروا بعد البتانى وأبى الوفاء البوزجانى، ويعده سارطون من فحول علماء القرن الحادى عشر للميلاد، وقد يكون أعظم فلكى ظهر فى مصر، ولد فيها وتوفى بها سنة ٣٩٩ هـ — ١٠٠٩ م. ويقول بعض معاصريه إنه كان ذا طباع شاذة، يضع رداءه فوق عمامته، اذا ركب ضحك الناس منه لسوء حاله وشذوذ لباسه، « وكان له مع هذه الهيئة إصابة بديعة غريبة فى النجامة لا يشاركه فيها غيره، وكان متفنناً فى علوم كثيرة، وكان يضرب على العود

(١) ابن أبى أصيبعة — طبقات الأطباء ج ١ ص ٣٠٦

(٢) ابن خلكان — وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٣٢

على جهة التأدب [١] » . وهو سليل بيت اشتهر بالعلم ، فأبوه عبدالرحمن بن يونس كان محدّث مصر ومؤرخها ، وأحد العلماء المشهورين فيها ، وجده يونس بن عبدالأعلى صاحب الامام الشافعى ، ومن المتخصصين بعلم النجوم [٢] . وقد عرف الخلفاء الفاطميون قدر ابن يونس وقدروا علمه ونبوغه ، فأجزلوا له العطاء وشجعوه على متابعة بحوثه فى الهيئة والرياضيات ، وقد بنوا له مرصداً على جبل المقطم قرب الفسطاط ، وجهزوه بكل ما يلزم من الآلات والأدوات ، وأمره العزيز الفاطمى أبو الحاكم أن يصنع زيجاً ، فبدأ به فى أواخر القرن العاشر للميلاد ، وأتمه فى عهد الحاكم ولد العزيز ، وسماه (الزيج الحاكمى) . ويقول عنه ابن خلكان « وهو زيج كبير رأيته فى أربعة مجلدات ، ولم أر فى الأزياج على كثرتها أطول منه » . ويعترف سيديو بقيمة هذا الزيج فيقول : إن هذا الزيج كان يقوم مقام المجسطى والرسائل التى ألفها علماء بغداد سابقاً . ويقول سوتر الشهير فى دائرة المعارف الاسلامية : « ومن المؤسف حقاً أنه لم يصل الينا كاملاً ، وقد نشر وترجم (كوسان) بعض فصول هذا الزيج التى فيها أرصاد الفلكيين القدماء ، وأرصاد ابن يونس نفسه عن الخسوف والكسوف واقتران الكواكب » . وكان قصده من هذا الزيج أن يتحقق من أرصاد الذين تقدموه وأقوالهم فى الثوابت الفلكية ، وأن يكمل ما فاتهم ، وأن يضع ذلك فى مجلد كبير جامع « يدل على أن صاحبه كان أعلم الناس بالحساب والتسيير [٣] » . وابن يونس هو الذى رصد كسوف الشمس وخسوف القمر فى القاهرة حوالى سنة ٩٧٨ م ، وأثبت منها تزايد حركة القمر ، وحسب ميل دائر البروج ، فجاء حسابه أقرب ما عرف الى أن أتقنت آلات الرصد الحديثة [٤] .

وأصلح ابن يونس زيج يحيى بن أبى منصور ، وعلى هذا الاصلاح كان تعويل أهل مصر فى تقويم الكواكب فى القرن الخامس للهجرة [٥] .

(١) ابن خلكان — وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٥
(٢) ابن القفطى — إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٥٥
(٣) ابن القفطى — إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٥٥
(٤) صروف — بسائط علم الفلك ص ١١
(٥) صاعد الأندلسى — طبقات الأمم ص ٩٣

وبرع ابن يونس فى المثلثات وأجاد فيها ، وبحوثه فيها فاقت بحوث كثيرين من العلماء . وكانت معتبرة عند الرياضيين ، ولها قيمتها الكبيرة فى تقدم علم المثلثات . وقد حل أعمالاً صعبة فى المثلثات الكروية [١] واستعان فى حلها بالمسقط العمودى للكرة السماوية على كل من المستوى الأفقى ومستوى الزوال [٢] . وهو أول من استطاع أن يتوصل الى إيجاد القانون الآتى فى المثلثات الكروية :

جتاس جتاص = ½ جتا (س + ص) + ½ جتا (س — ص) [٣]

وكان لهذا القانون [٤] قيمة كبرى عند علماء الفلك قبل اكتشاف اللوغارتمات ، إذ يمكن بواسطته تحويل عمليات الضرب الى عمليات جمع ، وفى هذا بعض التسهيل لحلول كثير من المسائل الطويلة المعقدة . وفى زمن ابن يونس استعملت الخطوط المماسة فى مساحة المثلثات . ويقول سيديو : « ولبث ابن يونس يستعمل فى سنة ٩٧٩ م الى سنة ١٠٠٨ م أظلالاً أى خطوطاً مماسة ، واظلالا تمام حسب بها جداول عنده تعرف بالجداول الستينية ، واخترع حساب الأقواس التى تسهل قوانين التقويم وتريح من كثرة استخراج الجذور المربعة . . . » وهو الذى اخترع الربع ذا الثقب ، وبندول الساعة الدقاقة ، وفوق ذلك فقد كان ينظم الشعر نأتى على بعض منه للتنويع ، فمن قوله فى الغزل :

رسالة مشتاق لوجه حبيبه ... أُحمّلُ نشر الريح عند هبوبه
ومن طابت الدنيا به وبطيبه ... بنفسى من تحيا النفوس بقربه
وغيبتها عنى لطول مغيبه ... لعمرى لقد عطلت كأسى بعده
وجدّد وجدى طائف منه فى الكرى
سرى موهناً فى خفية من رقيبه

« نابلس » قدرى حافظ طوقان

(١) كاجورى — تاريخ الرياضيات — ص ١٠٩
(٢) دائرة المعارف الاسلامية — مادة ابن يونس
(٣) سارطون — مقدمة فى تاريخ العلم ج ١ ص ٧١٧
(٤) نلفت نظر الأساتذة مترجمى دائرة المعارف الاسلامية الى ضرورة التدقيق فى نقل المعادلات والقوانين الرياضية ، فقد وقع خطأ فى نقل المعادلة المذكورة ، فنسوا أن يضعوا الكسر ½ فى الحد الثانى من الطرف الثانى من القانون الموجود فى ترجمة ابن يونس فى العدد الخامس من المجلد الأول .

ذكرى أدبائنـــــا

بقـــلم محمد محمد مكين

كتب الدكتور زكى مبارك فى البلاغ ينصح أصدقاء شيخ العروبة بجمع ما تناثر من مقالاته وبحوثه وضمها فى كتاب ، وخشى فى نهاية الأمر أن يلحق بشيخ العروبة ما لحق حافظاً واسماعيل صبرى من إهمال ونسيان . وكتب الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى مقالاً أرسله من لبنان يذكر فيه انه خجلان لأن إخواننا السوريين يخلدون ذكرى الامام الشيخ محمد عبده ونحن نهمله . وكتب الأستاذ احمد حسن الزيات فى الرسالة كلمة بكى فيها حظ الأدب والأديب وما يلاقيان من جحود وإنكار . وكتب الأستاذ محمود الشرقاوى كلمة بمجلة الأسبوع عن المنسيين (من الأدباء) قال فى ختامها انه يجب على كل أديب أن يعد نفسه كالذبيح ثم يموت مدحوراً لا ينال حتى كلمة الذكر .

فهل ياترى نستخلص من تلك المقالات أننا استيقظنا وتلمسنا تلك الظاهرة المعيبة — ظاهرة عقوق الأدباء وجحود العباقرة .؟ أخشى أن تكون اليقظة يقظة الموت .

نعم مات حافظ فلم نوفه حقه ولم نقم بالواجب نحوه ، ووالله إن أبناء العروبة فى أمريكا لخير منا ألف مرة ، فقد قاموا بواجبهم نحو حافظ وشوقى خير قيام

ومات من قبله الأديب محمد السباعى وذهب كأنه لم يخلق ، وكأنه لم يخلف آثاراً أدبية لو كانت فى أمة غير مصر لصعدت بها الى الأوج .

وانتقل الى جوار ربه المرحوم احمد باشا تيمور ، وفضله على الأدب والعلم غير منكور ، فماذا قدمناه لاحياء ذكراه ؟

ورحل المرحوم اسماعيل صبرى عن هذه الدار ، وما زال شعره متفرقاً لم يجمع فى ديوان .

تمضى الأعوام فنحيي المنفلوطى بطعنات داميات ، ونرمى خير الدين يكن بالمروق ، ونتهم جبران بالسخف . ثم ننسى البارودى ، وصروف ، وجورجى زيدان ، وحفنى ناصف . ولولا وفاء أبناء دار العلوم لذهب شعر عبد المطلب هباء منثوراً .

أذكر من سنين قليلة أن أدباء مصر أرادوا الاحتفال بذكرى ابن خلدون فتقاعست هممهم ، وقام أدباء المغرب على ما أذكر بذلك العمل الجليل . وأذكر انهم يتحدثون عن الاحتفال بذكرى المتنبى والمعرى . فهل تراهم يفلحون ؟

ها هو ذا عام ١٩٣٤ عام حافل بالذكريات . فيه مناسبات كثيرة لاحياء ذكرى أدبائنا وعلمائنا . فى هذا العام كانت مناسبة صالحة لذكرى قاسم امين ، ولكنها ضاعت بكل أسف فلم نفعل أكثر من كتابة مقالات تافهات نشرتها الصحف وذهبت بذهاب الأمس . على أن فى ذلك عبرة ، هى أن دعوته لما تثمر الثمر الطيب ، وإلا لعرفت المرأة المصرية قدر محررها فقامت بواجب غفل عنه الرجل .

أقول ان عام ١٩٣٤ عام حافل بالمناسبات ، ففيه يكون قد مضى خمسة عشر عاماً على وفاة حفنى ناصف ، ويكون قد مضى عشر سنين على وفاة المنفلوطى .

وفى أغسطس القادم يكون قد مضى عشرون عاماً على وفاة جورجى زيدان . وفى ديسمبر القادم يكون قد مضى ثلاثون عاماً على وفاة أمير الشعراء محمود سامى البارودى .

وفى هذا العام يكون قد مضى حولان على وفاة حافظ وما يزال « يقتضى أصدقاءه المخلص حفلة التأبين وتأليف الكتاب » .

فماذا نعد لهذه المناسبات ؟ أندعها تمر فنضع رؤوسنا فى الرغام ونرمى بأنفسنا فى وهدة الذل والصغار ، أم ننتهز هذه الفرصة ولا ندعها تفلت من أيدينا ؟

لست أدرى ماذا تفعل جماعاتنا الأدبية على كثرتها حتى تهمل ذلك الواجب المقدس ؟ أحق عليها ما كتب بمجلة كل شىء فى عددها الأخير من أن جماعاتنا الأدبية تقوم على صرح واه لأنها ترمى الى أغراض تلعب فيها الحزازات الحزبية والمآرب الشخصية الدور الأول ! ! وأنه ينقصها روح التعاون والقدرة على كبح جماح العواطف الشخصية فى سبيل الفكرة التى تعمل من أجلها الجماعة ..

الى جماعة الأدب العربى ، وجماعة أبولو ، والى أعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر أتوجه بالرجاء أن يعالجوا ذلك النقص المعيب ، فهم خير من يعهد اليهم ذلك الأمر .

وأخيراً أذكر الأدباء قاطبة بأن يفوا لأسلافهم حتى يفى لهم أخلافهم . وإلا كان مصيرهم مصير من سبقهم : جحود وإنكار ونسيان !؟

« طنطا » محمد محمد مكين

جولة بين أطلال بومبى

للأديب حسين شوقى

كانت بومبى المدينة التى يقصدها سراة روما وعظماؤها للمتعة واللهو ، لما توافر فيها من أسباب ذلك ، كما يقصد اليوم المترفون من الغربيين ساحل الرڤييرا الساحر . . .

وقد يرى المتجول بين أطلال بومبى آثار الطريق التى كانت تصل روما — حاضرة الدولة الرومانية العظيمة — ببومبى . . .

وبومبى اليوم تبعد كيلو مترات قليلة عن البحر ، أما فى زمانها الغابر فقد كانت تشرف على البحر . كما كانت ترسى فى مينائها يخوت أقيال الرومان الأنيقة .

وبومبى التى لم يزد عدد سكانها على خمسة وعشرين ألف نسمة ، كان فيها من المسارح والحانات والحمامات العامة وأماكن المصارعة مايجذب النفس ويستهوى الفؤاد . . .

وكل ذلك باق أكثره على رغم الزلزالين الكبيرين اللذين منيت بهما بومبى من عشرين قرناً خلت . . .

وما أجمل الدور التى شيدها سراة روما فى بومبى ليخلوا اليها فى أوقات فراغهم للهو واللعب ، وقد حليت أرضها وسماؤها بالفسيفساء الملون الرائع ، وبالصور الزيتية الجميلة ، المنقولة عن الأساطير ، وقد شيـــد أكثر هذه الدور على طراز خليط من الطرازين الرومانى والأغريقى . . لأن الرومان أعجبوا بالحضارة اليونانية ، فنقلوا منها إلى بلادهم فنونها ، وآدابها ، ودياناتها . . !

وقد بلغ إعجاب القيصر نيرون بالأغريق أنه تعلم لغتهم فأتقنها ، وكان يشجيه أن يغني بها ، وقد وهب صوتاً رخيماً . . .

وقد شيدت هذه الدور على النظام الآتى : باب ضخم على الشارع ، يلج منه الزائر إلى دهليز ضيق يوصل إلى فناء فسيح ليس له سقف ، سوى سماء نابولى الصافية الزرقاء ، وقد زين هذا الفناء بالأزهار النادرة ، كما حلى بالتماثيل المرمرية الجميلة التى تمثل الآلهة ، وبعض هذه التماثيل لا يزال قائماً فى مكانه وبعضه هدمته الزلازل ، والبعض الآخر نقل الى متحف نابولى . .

وفى وسط هذا الفناء تقوم نافورة من المرمر ، يتفجر منها الماء عذباً سلسالاً . . .

وحول جنبات هذا الفناء بنيت حجر الدار ، وقد بلغت عناية القوم بأولادهم أنهم أنشأوا لهم حجراً خاصة زينوا جدرانها بالصور الزيتية الفكاهية التى تلائم مزاج الأطفال . . .

كما أن بومبى كانت لها معابد فخمة صدعتها الزلازل فأودت بمعظم عمدانها الكورنثية الأنيقة . . وقد شيدها القوم زلفى للآلهة حتى يغمضوا أعينهم عما يقترفونه من كبار الآثام الخلقية بين جدران هذه المدينة المتهتكة . . .

كذلك الآلهة المصرية إيزيس ، التى ذاع صيتها فى العالم القديم وعظم شأنها ، لها معبد خاص فى بومبى ، وقد عبدها الرومان فى صورة سيدة رومانية !

وقد شاهدت تمثالها فى متحف نابولى . . .

وهناك حى للمتبذلات كن يقبلن من أهل المرح وعودهم بأن يدفعوا شيئاً . . . وشاهدت فى إحدى الحجرات اسماً منقوشاً على الحائط يتعهد صاحبه بأن يدفع الأتاوة فى الزيارة المقبلة !

وشوارع بومبى مرصوفة مرصعة بالحجر ، وقد وضعوا فى مفترقاتها أحجاراً بعلو الأرصفة ، ليعبر عليها المارة من الشعب فى الأيام المطرة ، أما المترفون فكانوا يسيرون فى عربات محمولة على أكتاف عبيدهم . . .

ولكن يلوح لى أن أهالى بومبى قد بالغوا فى الاستهتار واقتراف الرذائل ، حتى أغضبوا الآلهة عليهم برغم ماشيدوه لهم « رشوة » من معابد ، فسلطوا على المدينة جارها الرهيب بركان فيزوف فزلزل أرجاءها ، وأخذ يرميها بشواظ من النار السائلة والدخان الكبريتى الخانق ، حتى تصدعت قصورها ودورها ، وهلك معظم أهلها ، وقد رأيت على عتبة إحدى تلك الدور أسرة قد أدركتها القارعة وهى على أهبة الفرار فتحجرت جثثها ، وكانوا فى فرارهم يحملون حليهم ، ففنوا وبقيت هذه الحلى الى اليوم معروضة فى متحف نابولى ، شاهدة على حرص الانسان حتى وهو ملاق حتفه !

أى بومبى ! أيتها المدينة الساحرة كنت هوة الأخلاق وبؤرة الرذيلة ، فضربتك الآلهة ، فأصبحت اليوم مثلاً خالداً على الدهر

[البقية فى أسفل الصفحة التالية]

جزاء فجورك ، وما انبث فى كل شق من شقوقك من دعارة وفساد . . .

أى بومبى ! أيتها المدينة الفاتنة ، لقد كان ماحل بك من عقاب عدلاً ، حتى لتجزع الطير من أن تحوم بين أسوارك رهبة وذعراً ، على رغم مضى عشرين قرناً على نكبتك !

أى بومبى ! أيتها المدينة الخالدة ! لا تجزعى على ما أصابك فالدنيا دول ، فكم من مدن كانت أعظم منك شأناً ، وأرفع بنياناً اندثرت كأن لم تكن ، حتى أن بعضها تلاشى فلا يعرف الآن مكانه . . . !

حسين شوقى

أدب الزراعـــة

للأستاذ محمد محمود جلال

ما زلنا نحس حنيناً الى الأدب ، ولو أقصتنا ظروف الحياة عن بيئاته ومجامعه ، ويهفو بألبابنا شوق ملح الى كتبه ورسائله برغم الفارق الظاهر ، والحجاب الذى تكاد تسدله شواغل الحياة فى الزراعة والمال والاقتصاد . فنتلمس فى أجوائنا جهد الطاقة نسيمه المنعش ، وهو للروح حاجة كحاجة الزرع للماء .

والأدب فى عرفى روح كل كيان ، ولا ينقبض بفضله عن أى عمل أو مهنة ، وانما يتلون ويختلف باختلاف الأعمال والبيئات . وهو عنوان الحياة والذوق — فلا يعرض نفسه إلا لراغب الاجتلاء . وعندى أنه بشىء من التفهم ، وحسن النظر يجده المرء ماثلاً . ويجد غذاءه دافقاً بغير مَنّ .

وها هى ذى رحمة الله تقرب البعيد ، وتعوض من طرف ما يخال ضناً من طرف آخر . فتبسط لنا يده جل شأنه — فيما تبسط — من صحيفة الحقل قصائد عامرة الأبيات ، شجية النغمات . وفى أمثال إخواننا الفلاحين وإشاراتهم واستعاراتهم قطع من المنثور الملىء بالمعانى الدقيقة القيمة ، ولكن بالأسلوب الذى يتفق والنشأة ، ويتسق مع البيئة .

رافقت مرة أحد مفتشى الجمعية الزراعية متعهداً حقلاً للقطن من الزراعة الخاصة ، سائرين خلف ناظر الزراعة ، نطوف باحثين كل منا بقدر علمه ، وُعنينا جميعاً بالتحقق من خلو الحقل من الآفات . ثم من النبات الغريب ، وتدرجنا الى حالة الزرع ودرجة العناية به . ثم الى البذرة وانتقائها ، والناظر فى كل ذلك نخور بنتائج اشرافه ، ينتظر الحكم فى ثقة وثبات .

ظننا حين هنأناه بحسن عمله ، أننا فرغنا وليس لنا إلا أن نعود أدراجنا ! ! واذا بالناظر يغير السير ، ويتجه الى أقصى الجهة الشرقية فى خطوات متئدة ، وفى معان من التوسل للاقتداء به . ثم نظر نظرة هادئة الى أسفل ، أعقبها بأخرى أبعد مدى الى الغرب ، وقال يخاطب المفتش : « أرجو أن تنظر لترى النبات فى خطوط لا تشكو عوجاً ؟ ثم انظر فى أى ناحية ، ألا تجد النبات فى مستوى واحد فى الارتفاع ؟

أليس هذا الحقل قصيدة إذن ؟ أليست خطوط القطن مفصولاً بينها (بالمساق) القاطعة لها — أبياتاً من الشعر من صدر وعجز ؟

ثم أليس فى نغمة الناظر على سذاجتها شاعرية ؟

أى والله ! ولقد روحت عنى هذه الملاحظة كثيراً من العناء ، وسرى فى جسمى مايسرى عندما أخرج من عملى مكدود الذهن ، كليل الخاطر ، فأقرأ قصيدة للمتنبى أو مقطوعة لشوقى بك رحمهما الله !

على أنى بين مشاغل المادة من مرور وفحص وارشاد ، وبين متعة الأدب الذى خبرت تذكرت ، لم أزل بين القطن ، ولم أعد الحقل وفيه ريان ، وذكرت قول شوقى بك فى (باريس) :

إن كنتِ للشهوات رياً فالعلى شهواتهن مُرَوَّيات فيك

***

ولطالما عز القطن وعز معه زارعوه ، فلم تكن تسمع بيننا إلاّ تنويهاً بذكره ، وتدليلاً لاسمه ، ففاز من أدب الزراعة بأقشب الأثواب ، وأجذب الأسماء والاشارات ، فدعى « بذى العين البيضاء » وسمى « أبا الذهب »

حتى اذا دهمت الأزمة ، وحلت الكارثة ، فى سنة ١٩٣١ بتدهور أسعاره ، لم يبخل عليه أدب الزراعة « بذى القلب الأسود » فاذا تساءلت دَهِشاً أو أنكرت عدم الوفاء لمن سبقت على الفلاح نعمه ! ! قيل لك : أوليس بذوره سوداء حقاً ؟ أوليست تقع من « اللوزة » فى الصميم ؟ .

تقول هذا مجاج النحل تمدحه وان ذممت فقل قيء الزنابير

ألم تر الى حقل القطن في أواسط شهر اكتوبر ، وقد كادت تجف سوقه وقد اشتد سواد لونها ، ودنت قطوفه بيضاء تحلى عاطله وتلين من وحشة جفافه . أليست الأولى أشبه بالليل ، جاءته الثانية نجوماً ذات لألاء تخفف من قساوة ظلمائه ، منتشرة بين أعاليه وأسافله وأواسطه هدى للسارى .

فاذا حان القطاف ، وانتشر فى الحقل الصغار يجمعون ثمار عمل طويل الأمد ، عوضوا من شدة السوق وأذاها طراوة القطوف لينة طيعة فى بياض ناصع خلال سواد قاتم

يمزج الوصل بالصدود ويا ما أعذب الوصل من خلال الصدود !

فاذا انتهى اليوم وقاربت الشمس المغيب ، فى آخر الحقل « الموازين القسط » منصوبة للعاملين ، تحدد نتائج أعمالهم . وتحدد لكل ما يستحق من جزاء ، ويؤجر الانسان بقدر عمله .

ولقد يمر الصبى وما جمع بأكثر من يد . فهذا ينظر الى خلو القطن من طين الأرض ، وذاك يحقق خلوه من الرطوبة (عب الندى) ، وآخر ينظر فى النظافة عموماً ، كما يفعل جمهرة الأدباء وصفوة النقاد حين يطالعهم بديوانه شاعر ، أو ينشر كتابه ناثر ، فكل وذوقه ، وكل وما يستسيغ من المعانى ، فيرهفون أقلامهم بما يعن لكل منهم ، وكل يؤدى أمانته

بل إن اليوم الواحد فى موسم « الجنى » ليمثل رواية كاملة للدنيا . فمن جد للسعى ، الى تشعب للعمل ، الى تنافس فيه ، الى اختلاف فى النظر والمذاهب ، الى وضع لنظريات الحياة ، فبينا فريق يجمع بكلتا يديه ما تصلان اليه أياً كان نوعه ، الى فريق ينتقى ويدقق عن يقين بمآله ونتائج سعيه ، فالأولون يفرحون بالكم ، والآخرون يدخرون النوع والدرجة شفيعاً اذا نقصت الموازين .

فى نهاية اليوم ما يشبه تصفية الحياة ، والنظر فى صحيفتها ، فمن مقل مجيد ، الى مكثر مسيء ، الى سابق بالخيرات

ثم ما هى إلا لحظات حتى لا ترى للازدحام أثراً ، وينصرف كل بما أفاد ، ويتفرق الجمع الى مختلف الجهات ، وتمر أيام قليلة فتجعل من تلك البقاع التى تشبه المناجم الغنية ، أحطاباً سمراء مهجورة ، ثم تحيلها الأيام هشيما تذروه الرياح ، وكان الله على كل شيء مقتدراً ؟

محمد محمود جلال

الرســـالة . . .

للأديب أحمد على المكى

كان صدور « الرسالة » فتحاً جديداً فى الأدب العربى ، وخطوة كبيرة فى ميدان العلوم والفنون ، وهى الآن فى شكلها الحاضر تعد آية فى غزارة موادها ، وحسن طبعها ، وأنيق رسمها ، وسحر مقالاتها ، وبديع منظرها ، ومنظر غلافها الرائع .

وإذا أنعمنا النظر اليها من حيث مركزها الأدبى فى الوقت الحاضر ، نجدها — مع قرب صدورها — قد أصبحت فى طليعة المجلات العربية الأدبية ، وكونت لنفسها مركزاً سامياً ، بين كثير من أخواتها التى مع قدمها لا تزال سائرة متطلعة الى مثل هذه الدرجة العالية والمنزلة الرفيعة .

وصدورها فى « مصر » العربيــة — التى لها الحق فى أن تفتخر وتزهى على بقية الأقطار العربية بكثرة مجلاتها المتنوعة ، ووفرة جرائدها المختلفة — لم يكن حاجزاً دون انتشار صداها فى عموم البلاد العربيــة وأبنائها ، ولم يمنعهم وجود البون الشاسع ، والحواجز الطبيعية الجغرافية ، وتفرقهم فى مختلف الأقطار ، من أن يجعلوها « منبراً » عاماً لنشر ثمار قرائحهم الوقادة ، وعصارة أفكارهم الثاقبة ، ونتائج تجاربهم الأدبية والعلمية ، وآرائهم القيمة العالية ، واقتباساتهم الطريفة الظريفة ، من الثقافة الغربية الملائمة للذوق العربى الشرقى .

خذ أى عدد من أعدادها الثمينة فلن تجده إلا عنواناً للرابطة الأدبية العربيــة الوثيقة . فهذه مقالة لكاتب مصرى بليغ ، وتلك قصيدة منشأة أو مترجمة عن الانجليزية أو الفرنسية لشاعر فى سوريا أو العراق أو الموصل ، من غير أن تتعصب لطائفة مخصوصة — شأن كثير من المجلات — أو تقديم كاتب وطنى على غيره ، أو التشدق بالنعرة الوطنية .

هذه الظاهرة الجليلة التى امتازت بها هذه المجلة الغراء تحملنا على أن نسميها بحق : مجلة العالم الأدبى العربى — ولا تتجاوز سياج الحقيقة والواقع ، إذا سميت بهذا الاسم أو اتخذته شعاراً لها .

[البقية فى أسفل الصفحة التالية]

مهمة النـــــاقد

بقـــلم نظمي خليل

شغلت الصحف فى الأيام الأخيرة ببعض الدواوين الشعرية وانبرى النقاد والكتاب لهذه الدواوين بالعرض والتحليل. وهذا أمر مألوف، فقد اصطلح الناس على أن يتناولوا كل أثر فنى جديد يعرضون له تارة فى شيء من التقدير والاعجاب، وتارة فى شيء من التحقير والسخط، وحجة كل ناقد أو مستوعب لهذا العمل الفني أنه يراه كذلك، وأن ذوقه الأدبي يوحي له بهذا.

ولست أريد اليوم أن أسلك هذا الطريق أو أتناول ديواناً من هذه الدواوين بالعرض أو النقد. ولكنى أريد أن أتساءل فى هدوء ما فائدة النقد وما مهمة الناقد؟

لا أرغب من طرح هذا السؤال أن أثير ضجة فى ميدان النقد، أو أن أحط من شأن النقاد، ولكنى أتساءل مخلصاً ما الفائدة الحقيقية التى تعود على الفن من نقد النقاد وتحليلهم؟

لقد انحط فن النقد عندنا حتى صرنا نرى الناقد لا يعدو أحد رجلين: رجل يكيل المدح فى كرم وسخاء، وآخر يرمى بالشتائم والهجاء اللاذع المؤلم فى غير تحرج ولا استحياء، وليس هذا عمل الناقد الفنان، فما كان النقد فى يوم من الأيام مدحا أو هجاء، ولن تكون مهمة الناقد فى يوم من الأيام أن يقف من الأثر الفنى موقف من يقول إنه حسن أو إنه قبيح، ولكن الناقد الفنان هو الذى يستوعب ويقف على هذا الخلق الفنى سواء فى الأدب أو النحت أو التصوير أو الموسيقى، ويقول لماذا هو حسن وأين موضع القبح فيه.

ويجب عليه ألا يبني حكمه هـذا على ذوقه الشخصى، فلو اعتمد النقد على الذوق فقط لنالته الفوضى وعمه الفساد. ولكن النقد لابد له من قواعد وأصول تقوم بجانب هذا التحكم الفردى فتخفف من غلوائه وتوقفه عند حده. ولست أذهب الى ماذهب إليـه تين Taine المؤرخ الفرنسى من أن زماناً معيناً ومكاناً معيناً وجواً معيناً تنتج أدبا خاصاً. فأنا لا أريد أن أحشر النقد فى زمرة العلوم، ولكنى أرى أنه لايمكن أن يكون فناً خالصاً يقوم على الذوق، أو علماً محضاً مرجعه القواعد والأصول.

أعود بعد هذا الاستطراد إلى سؤالى السابق الذى طرحته والذى شغلنى كثيراً ولا سيما فى هذه الأيام، إذ لا يكاد ينقضى يوم حتى أقرأ فى صحيفة أو أكثر من صحيفة بحوثاً مستفيضة تارة عن ديوان «وراء الغمام» وتارة عن ديوان «الملاح التائه» وهكذا، أتساءل فى شيء كثير من الاخلاص ما الفائدة الحقيقية التى عادت على أصحاب هذه الدواوين، ولست أعني بأصحاب الدواوين أشخاصهم ولكنى أعنى ملكة الانتاج وقوة الابداع فيهم.

هل استفاد هؤلاء الشعراء من تلك البحوث المستفيضة؟ هل زادت ثروتهم الفنية؟ هل نجد فى آثارهم المستقبلة أثراً لهذه البحوث؟

ليس من شأنى أن أتعجل الزمن فأحكم على آثار هذه البحوث ومواضيع النقد التى كتبت وتكتب حول هذه الدواوين. ولكني أعرض لكاتب من كبار كتابنا الذين ظهروا حديثاً وهو الأستاذ «توفيق الحكيم» لم يكن هذا الكاتب معروفاً لدى القراء قبل عام، ولكنه استطاع أن يتبوأ مكانة سامية بين كبار كتابنا فى

وهذه الميزة الواضحة السامية، هى التى ألجأتنى وحفزتنى الى كتابة هذه الأسطر، مع إظهار الأسف الزائد اذ لم تقع عيني وأنا أراجع الفهرس للسنة الأولى، وأتتبع أعداد السنة الثانية على اسم كاتب حجازى يكون قد اشترك مع إخوانه وزملائه المعاصرين فى الأدب، على صفحات هـــذه الصحيفة الغراء، ليساهمهم فى هذه النهضة العلمية الفكرية المباركة، وليتعرف اليهم، ويعرفهم بنفسه، وألا يكون بعيداً عنهم، اذ هو أقرب الناس الى هذه المجلة الراقية علاقة ورابطة، وأحوجهم الى الاشتراك فى مثل هذه الخدمات الأدبية الجليلة، وباشتراكنا معهم يمكننا أن نؤمل من مديرها المفضال الأستاذ الزيات، اذا أراد أن يشيد بذكر أبناء الرافدين والنهرين ألا ينسى «الحرمين» كذلك.

مكة المكرمة — أحمد على

* * *

(الرسالة) جاءنا بهذا المعنى رسائل وقصائد للسادة الأفاضل محمد الرضا آل السيد هاشم الخطيب، والأستاذ السيد مصطفى شريف، والأديب حافظ غريب، والسيد محيي الدين الفضل، والشيخ ابراهيم احمد ابو الفرج . . . فرأينا فى نشرها إساءة منا الى الحياء واعتداء على حق القراء فحفظناها تذكاراً لهذه العاطفة النبيلة وتقدم لهم أسمى ما يقدم الصديق المخلص من الشكر وللمعذرة؟

أقل من أسبوع ، إذ ما كاد يذيع باكورة آثاره الفنية الرائعة « أهل الكهف » حتى ذاع صيته وعرف فى كل مكان . وهنا ألقى السؤال « هل كانت شهرة الأستاذ توفيق الحكيم آتية من جانب النقاد الذين تناولوا روايته أو قصته التمثيلية فى إعجاب وتقدير شديدين ؟ أم من تلك المسرحية نفسها وما فيها من فن صاحبها وقدرته على تفهم أصول القصة والمحاورة . ؟ »

إنى لا أتردد فى الاجابة على هذا السؤال معلناً رأيى فى صراحة أن شهرة توفيق الحكيم استمدت غذاءها من روح صاحبها الفنان ، ودعمت أسسها على فنه الخالد ، أجل ، أنا لا أنكر فضل أساتذة النقد عليه ، فقد شادوا بفضله ، ووقفوا الناس على فنان كان أمره مجهولاً من الكثيرين .

ولكنى أسأل ما الذى عاد على فن الأستاذ الحكيم من هذا التهليل والتكبير . قد يكون أساتذة النقد أفادوا الأستاذ كمؤلف يريد أن يتعرف للجمهور ويتحدث عنه الناس ويقبلوا على شراء كتبه . وقد يكون أساتذة النقد أفادوا القراء بما استكشفوه فى نتاج توفيق الحكيم من فن رائع وعبقرية كامنة . فأقبل القراء على مؤلفاته متزاحمين مدفوعين على قراءتها بما كتبه هؤلاء الأساتذة عنها . ربما كان فى هذا الكلام الصواب كله أو بعضه ، فكلنا يعرف أن القراء إنما يقرأون بالتأثير كما يتمغنطس بعض المعادن من بعض .

فاذا قرأ قارىء كتابا وأعجب به أخذ يبدى هذا الاعجاب لمن حوله فيثير فيهم الرغبة القوية لقراءة هذا الكتاب . وهو لا يقنع بهذا ولا يهدأ حتى يقبل أصدقاؤه على هذا الكتاب ، وقد يكون الأمر على عكس ذلك ، فقد يقرأ قارىء كتاباً فيضيق به ويسخط على صاحبه ثم هو لا يبقى على هذا السخط فى نفسه بل يخلق المناسبات لاعلانه فى المجالس وفى الأندية والمجتمعات ، ثم هو لا يرتاح ولا يستقر حتى يجد من يشاركه هذا السخط والضيق بالكتاب وصاحبه . وهكذا شأن القراء ، فهم يقبلون على القراءة بالعاطفة والشعور سواء أكانت هذه العاطفة جميلة أم غير جميلة . وسواء كان هذا الشعور فى جانب صاحب الكتاب أو عليه .

وقد يكتب أحد أساتذة النقد مقالاً يتناول فيه كتاباً من الكتب بالبحث والتحليل فيستهوى هذا المقال لب قارىء من القراء – وقد يستهوى كثيرين – فيعلن هذا القارىء آراء هذا الناقد فى ذلك الكتاب بين أصدقائه واخوانه وتكون النتيجة أن يتزاحم هؤلاء الأصدقاء على قراءة هذا الكتاب مدفوعين بما سمعوا أو قرأوا عن هذا الكتاب . فيقرأونه وهم تحت تأثير هذا المقال . وإنى أسوق الى القارىء مثالاً على هذا

كنت منذ أربعة أعوام أكره الشاعر « تنيسون » وأضيق به كلما هممت أن أقرأ شيئاً من شعره . كان هذا منذ أربعة أعوام لم أكن قرأت قبلها نقداً أو تحليلا لشعر هذا الشاعر . قضيت على ذلك عامين وأنا أكرهه ، بل كنت أقرأ كل من يذكر اسمه أمامى أو يعجب به ، حتى كان لى مع الأستاذ « سكيف » أستاذ الدراما وشكسبير بكلية الآداب نقاش شديد حول هذه الكراهية الغريبة . فأخذ الأستاذ يبسط لى جمال شعر ذلك الشاعر ، ثم كان أن قرأت كتابه الصغير وهو ثلاث محاضرات كتبها مستوعباً بعض قصائده مقدراً فنه . فأخذ رأيى يتغير وأقبلت على قراءة شعر ذلك الشاعر فى حب وتقدير عظيمين .

وإنى أقف اليوم من الشاعر بروننج ما وقفته بالأمس من الشاعر تنيسون ، ولست أدرى أأوفق إلى أستاذ كذلك الأستاذ أو إلى كتاب كذلك الكتاب يحبب إلى قراءة شعر هذا الشاعر ، أو أنى سأقبل عليه من نفسى أوأظل على انصرافى عنه بقية أيامى .

أعود إلى سؤالى الأول « هل استفاد الأستاذ توفيق الحكيم شيئاً من هذه الضجة الكبرى التى أثارها بمؤلفاته الثمينة . إنى أرى أن الفائدة الفنية معدومة ، ولكنى مع ذلك لا أتجاهل فائدة النقاد للقراء وللمؤلف . للقراء كمرشد يأخذهم إلى مواطن الحسن الفنى ، وينبههم إلى مواضع الضعف ومواطن القبح ، وللمؤلف كاعلان عن كتابه وكاشادة بفنه السامى .

ليس فى هذا الكلام تعسف ولا مغالاة . وإنى أرجو كل من يرى أو يخيل إليه أنه يرى أن فى هذا إجحافا بحقوق النقاد ألا يثور ويحنق ، بل أرجو منه أن يهدأ ويخلو إلى نفسه يسائلها هل غير الأستاذ توفيق الحكيم شيئاً فى فنه نزولاً على رأى أو تنفيذاً

لنقد ، هل تفتحت طبيعته عن أشياء كانت أثراً للنقد أو نتيجة لنصائح النقاد . هل زادت ملكة الانتاج وقويت عنده بعد نشر هذه البحوث وكتابة هذه المقالات . كلا .

أرجو كل من يرى فى هذا تطاولاً على النقد والنقاد ألا يحنق ويسخط بل يهدأ ويخلو إلى نفسه يسائلها ما الفائدة التى عادت على فن شكسبير من مئات الكتب التى كتبت عنه . لقد كتب عن شكسبير مالم يكتب عن أى انسان آخر . وإنك لترى اختلافاً كبيراً فيما كتب عنه . فمن النقاد من تناول حياة شكسبير الأولى ومنهم من تحدث عن شكسبير شاعر الانسانية ، وشكسبير الممثل ، وشكسبير المؤلف المسرحى ، وشكسبير المصور المبدع ، وشكسبير الفنان وهكذا .

هناك مئات الكتب عن شكسبير وهناك عشرات الكتب كتبت فى غرض واحد مثل شكسبير « المؤلف المسرحى » ولكنك لن تجد رأيين يتفقان ، ولن تعثر على كاتبين قد سلكا مسلكاً واحداً فى بحثهما ، ثم أرجو أن تسأل نفسك هذا السؤال : « مابال أولئك النقاد يصلون لياليهم بأنهارهم صامدين للبحث صابرين على الشدائد فى هذه البحوث الطويلة المستفيضة ؟ ستقول إنهم يريدون أن يحلوا ألغاز شكسبير ويشرحوه حتى يعرف الناس من هو شكسبير . ستقول إنهم يريدون أن يحللوا مسرحيات شكسبير ويطبقوها على الحياة الواقعية التى نحياها كل يوم . يريدون أن يبرزوا مواهب شكسبير الفنية ودقة فهمه للطبيعة الانسانية وما فيها من شتى العواطف والاهواء من حب وبغض وحقد وغيرة وحيرة ويأس وأمل وخيبة وخيانة وغدر . إنهم يريدون أن يكشفوا عن أثر الطبيعة فى فن شكسبير وأثر الحياة الطبيعية فى شعره .

إنهم يريدون هذا وغير هذا ، ولكن هل وفقوا إلى شىء من هذا الجواب . لا . لم يوفقوا إلى ازاحة الستار عن سر تلك العبقرية الشاذة وعن ذلك الفن الخالد . لقد كتب كثيرون عن مآسى شكسبير Tragedies ، كتب برادلى كتابه « المأساة عند شكسبير Shakespearean Tragedy » وهو أحسن ما كتب فى هذا النوع : حلل فيه أبطال مآسيه الكبرى عطيل وهاملت والملك لير وما كبث . وكتب كثيرون غير برادلى عن فن شكسبير الدرامى أو التمثيلى . ولكن هل استطاع كاتب من مئات الكتاب أن يكشف الستار عن سر هذه العبقرية وجلالها ؟ هل أفلح كاتب من مئات الكتاب أن يقدم لنا صورة واضحة لنفسية هاملت الحائر وطبيعته العميقة وفلسفته الغامضة ؟ هل استطاع كاتب أن يحدد لنا غرض شكسبير من مأساته الخالدة « الملك لير » وهل استطاع علم وظائف الأعضاء وعلم النفس الحديث أن يفسرا ظواهر الجنون فى الملك لير وهاملت ، وغرائز الغدر والخيانة فى « ياجو » ، والشعور بالغيرة فى عطيل ، ومطامع الانسان فى ما كبث ؟ بل هل استطاع كاتب أو وصاف بارع أن يصف لنا شكسبير شاعر الطبيعة الفذ فى كوميدياته : « كما تحبها » . « وحلم ليلة فى منتصف الصيف » ، « والعاصفة » لا . لا . لقد أجهد مئات الكتاب أفكارهم فى شرح رجل واحد وفى تفهم نفسية فرد فلم يفلحوا ، بل تشعبت بهم البحوث وتباعدت آراؤهم وتضاربت .

فعلام كان كل هذا الاجهاد والنصب ؟ وعلام كان كل هذا الاهتمام ؟ لم يأت هذا الاجهاد بثمرة ، ولم تكن لاهتمامهم نتيجة ، فقد فشلوا جميعاً وعجزوا عن تفهم روح الشاعر نفسه ، عجزوا عن ادراك سر عبقريته .

فياليت شكسبير الذى أبدع كل هذه المسرحيات وجاء بهذه المعجزات الفنية فى الشعر أراح أولئك النقاد وأراحنا نحن القراء ، فكتب موجزاً صغيراً لمآسيه وكوميدياته يشرح فيه فكرته وأغراضه ، ولكن شكسبير معجزة الدهور قد أبى أن يقف الناس على أسرار فنه ، ومن يدرى ؟ ربما لم يعرف هو نفسه من أمر فنه شيئاً فمات وبقى لغزاً لن يحل . فاذا ألقينا نفس السؤال « هل استفاد فن شكسبير من هؤلاء النقاد الذين يعدون بالمئات ؟ كان الجواب بالنفى طبعاً ، لأن شكسبير لم يعش حتى يرى هؤلاء النقاد ، وأغلب الظن أنه لم يعن بأمر هؤلاء النقاد ولم يأبه بمعاصريه الذين تناولوا مؤلفاته بالنقد سواء المعجبون المشجعون أو الناقمون الحاقدون . فان شكسبير لم يكتب ليعجب النقاد أو يسخطهم ، بل أغلب الظن أنه لم يفكر فى اغضابهم أو اعجابهم ، وهذا شأن الفنان الحر الطليق لا يفكر إلا فى نفسه وفى فنه ولا يأبه إلا لرأيه ولا يخلص إلا لفنه .

ولكنى مع ذلك لا أنكر أن هذه المئات من الكتب التى كتبت عن شكسبير قد أعانت وستعين كل دارس لشكسبير ؛ ستعينه بقدر ما وصل اليه هذا الكاتب من تفهم لروح شكسبير ووقوف على أسرار عظمته الفنية . أقول أعانت القارئ وستعينه ، ولكنها لن تقفه على موطن الاعجاز فى شكسبير الأصيل ، فلن يعرف قارئ هذه الكتب موطن الاعجاب بهاملت والغرض الأساسى الذى كتبت من أجله ، وسيظل البطل هاملت حيرة الألباب والعقول ما بقى فى العالم إنسان مفكر .

فاذا كان هذا أمر النقاد والشراح من الفنانين العظام ، ففيم إذن تنحصر مهمتهم ؟ هل لهم رسالة يؤدونها كالكتاب ؟ فى رأيى أن الناقد عالة على الكاتب ، أرى أن الناقد شخصية ثانوية تعيش على غيرها ؛ فلولا الكاتب لما وجد الناقد ، ولولا الخلق والابتكار والانتاج لما وجد النقد ولما سمعنا صياح النقاد الذى يصم الآذان . فلولا شخص واحد كشكسبير لما وجد مئات النقاد الذين وإن كانوا قد أرشدونا إلى بعض مواطن الحسن والاعجاز فى فن شكسبير ، إلا أنى أرى أن هذه المهمة وإن كانت عظيمة الفائدة فى ذاتها ، أقل من أن تكون مهمة مئات من الرجال قد استمدوا حياتهم الفنية ووجودهم الأدبى من عبقرية فرد واحد هو شكسبير ؟

نظمى خليل
بكالوريوس آداب

جواب عن سؤال

الالياذة والأوذيســـة *

... أشرتم فى كتابكم (تاريخ الأدب العربى) إشارة موجزة الى ديوانى الالياذة والأوذيسة . فهل تتفضلون وأنتم ... بكلمة فى الرسالة عن موضوعى هذين الديوانين ...

(سنغافورة) م . ع . ج

الالياذة والأوذيسة منظومتان يونانيتان نسبتا الى هوميروس ، واستفاضتا فى الشعوب والأجيال تحملان أثر العبقرية الاغريقية ، وترددان صدى الحرب الطروادية ، وتمدان الآداب العالمية بالغذاء والقوة . موضوع الالياذة غضب أخيل ، وهو حادث بسيط من حوادث حرب طروادة وقع فى السنة العاشرة من حصارها ، واستغرق واحداً وخمسين يوماً ، تبتدئ بشجار أخيل وأغا ممنون وتنتهى بقتل هكطور . وتنقسم هذه الملحمة الى أربعة وعشرين نشيداً تمثلت فيها صور الحياة اليونانية بأساطيرها وعاداتها وآدابها جلية رائعة مؤثرة . وأهم أبطالها من الاغريق أغا ممنون ملك ارجوس ومسينا وأمير الجيش ، ومينيلاس أخو أغا ممنون وملك اسبارطة ، وأخيل ملك الفذيوتيد ، وبتروكل صديق أخيل ، ونسطور ملك بيلوس ، وأوليس ملك أتيكا ؛ ومن الطرواديين هكطور وفاريس ابنا فريام ملك طروادة ، واينوس خو فريام الخ . وللآلهة فى الالياذة شأن خطير وأثر كبير : فزحل ومنيرفا مع الاغريق ، وأبولون والمريخ مع الطرواديين . فهم يدبرون القتال ، ويحمون الأبطال ، ويتقارعون فيما بينهم انتصاراً لطائفة على أخرى .

وملخصها أن أبولون سلط الوباء على معسكر الاغريق ، فأعمل فيهم منجله انتقاماً منهم على سبيهم بنت كاهنه كريزيس . ثم جل الخطب بوقوع الخلاف بين أغا ممنون وأخيل من أجل سبية نفسها الأول على الثانى فاستأثر بها دونه من غير حق . ولما عجز أخيل الباسل عن الأخذ لنفسه من أمير الجيش

* ترجم الالياذة الى العربية المرحوم سليمان البستانى ، أما الأوذيسة فلم تترجم

اعتزل الحرب وهو يكاد ينشق من الغيظ والحنق ، فرجحت كفة الطرواديين باعتزاله ، وحالفهم النصر منذ استراحوا من قتاله . ودارت الدائرة على الاغريق فجرح ديوميد وأوليس ، وأخذ هكطور يحرق أسطولهم وأحدق بهم الخطر من كل جانب . فلما رأى ذلك بتروكل استعار سلاح أخيل وصمد الى العدو فأجلاه عن موقفه . إلا أن أبولون أسعف الطرواديين فتصدى للبطل فأسقط خوذته ونزع درعه ، حتى أمكن هكطور أن يضربه الضربة القاضية . وجاء نعى بتروكل الى صديقه أخيل فسارع الى الخنادق ، وما كادت العيون تأخذه حتى وقع الرعب فى قلوب الطرواديين ، وسرت الحمية فى نفوس الأغريق . فاستخلصوا جثة بتروكل ، وشق على أخيل أن يطل دم صديقه ، فصالح الزعماء وأزمع قيادة الجيش . وأرسل أمه الى فلكان إله النار تأتيه منه بسلاح ولأمة . فلما تسربل بالحديد خاض المعركة فأوقع بالطرواديين وقذف بهم فى نهر الاجزنت ، والتقى بهكطور فحمل عليه وقتله ، ثم شده الى مركبته وطاف به مسحوباً على وجهه حول جدران طروادة على مشهد من أسرته الضارعة الحزينة . ثم احتفل بعد ذلك بجنازة بتروكل ؛ وأوحى إله من الآلهة الى فريام أبى هكطور أن يذهب الى أخيل يسأله جثة ولده ؛ فذهب الشيخ يسترحم البطل المنتصر ، ويتوسل اليه بذكرى أبيه حتى رق له ورد اليه أشلاء القتيل .

***

أما موضوع الأوذيسة فهو مخاطر أوليس بعد سقوط طروادة ورجوعه الى أتيكا بعد أن عوقته عن هذه الأوبة أقدار الآلهة المعادين عشر سنين . وتنقسم هذه الملحمة الى أربعة وعشرين نشيداً أيضاً ، وقعت حوادثها فى خلال أربعين يوماً ، وهى دون الالياذة فى الأسلوب والقوة والجاذبية ، حتى كان هذا الاختلاف الشديد دليلاً من أدلة الأستاذين الناقدين فيكو الايطالى ، وولف الفرنسى ، على أن هاتين الملحمتين ليستا من صنع مؤلف واحد . وملخصها أن أوليس لدى عودته من حصار طروادة حل عليه غضب نبتون إله البحر فأضله بين جزره وسواحله ؛ وطال نزوحه عن وطنه حتى ندبه أهله وبكاه قومه ، وحتى جرؤ الطغاة من الأمراء على أن يستبيحوا ذماره ويهلكوا ماله ، ويكرهوا بنيلوب زوجه ، على أن تختار أحدهم لها بعلاً . وغضب تلماك ابن أوليس على حداثة سنه لانتهاك حرمته ، وانتهاب ثروته ، وابتذال فنائه ؛ فخرج فى البحث عن أبيه عند رفاقه من أبطال طروادة ، ائتماراً بمشورة الآلهة منيرفا . فذهب الى نسطور فى بيلوس ، والى منيلاس فى أسبارطة ، فقص كل منهما عليه ما كابداه فى أوبتهما من الأهوال ، ونعيا اليه بتروكل وأخيل واغاممنون وأجاكس ؛ أما أوليس فانهما لا يعلمان شيئاً عن مصيره

وكان أوليس فى ذلك الحين أسيراً فى جزيرة « أوجيجى » عند الحورية جاليبسو ، فظفر بالنجاة على ظهر طوف[1] ، ولكن عاصفة هوجاء هبت عليه فقذفت به فى ساحل جزيرة (الفياسين) على حالة بين الحياة والموت ؛ فاقتاده أهلها الى ملكهم ألسينوس ، فقص عليه أوليس ما عاناه من الشدائد منذ غادر طروادة ، فأعجب الملك بشهامته وفصاحته ، وأعد له سفينة أقلته الى أتيكا ، فلما وطئت قدمه أرضه تنكر فى زى سائل ، ونزل عند الشيخ (أوميه) حارس قطعانه ؛ واتفق أن رجع تلماك الى وطنه فى ذلك الحين فلقى أباه وعرفه ، وأخذا يديران الحيلة معاً لهلاك أولئك الأمراء المعتدين بمعونة الخدم المخلصين . وكانت بنيلوب طوال هذه السنين قد نجحت فى مماطلة هؤلاء الخطاب الملحفين بأن علقت قبولها الخطبة على فراغها من الثوب الذى كانت تنسجه ، وهيهات أن تفرغ منه ، لأنها كانت تظل النهار كله تنسج فيه ، حتى إذا جاء الليل نقضت ما نسجته . فلما طال الزمن وانقطع الرجاء من أوبة الغريب ، وكلت الحيلة ، وأهلك الخطاب الزرع والضرع ، أوشكت أن تذعن لولا أن دخل أوليس متنكراً الى قصره وفتك بأعدائه ، وتعرف الى زوجه الوفية بنيلوب ، وجده الشيخ لايرت ، وأخذ يجمع أهبته لمقاومة أهل المقتولين ، إلا أن منيرفا حلت فى شخص منطور صديق أوليس ومشير تلماك ، فضمنت بحكمتها لمملكة أتيكا السلام الدائم والرخاء العميم ؟

(الزيات)

---

(١) الطوف خشب يضم بعضه الى بعض ويركب فى البحر ويقال له الرمث أيضاً : Radeau

١١ ـ أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المغفور له احمد باشا تيمور

الشيخ على الليثى

سيّد الندماء

ولد سنة ١٢٣٦ ، كما تحققته من بعض أفراد أسرته ، كان فى ابتداء أمره مقيما بمسجد الامام الليث ، وكان ينزل الى الأزهر لطلب العلم ، ويعود للمبيت هناك ، وكان كريماً على فقره . ثم ورد على مصر الشيخ السنوسىّ الكبير قاصداً الحجّ ، فاتصل به ، وأخذ عنه الطريق وحجّ معه ، ولما عاد الى مصر لم يفارقه . بل سافر معه الى جغبوب ، وأقام هناك مدة لم يفتأ فيها يطلب العلم ويستفيد . ثم فارقه وعاد لمصر ، واتصل بأمّ عبّاس باشا الوالى فجعلته شيخاً على مجلس دلائل الخيرات عندها . ثم اتّصل أيضاً بالأمير أحمد باشا رفعت بن ابراهيم باشا الكبير . فاعتقد فيه ، وأطلعه على خزانة كتب عنده ، فاطّلع على ما فيها واستفاد منها . وبسبب سفره الى جهة المغرب اتهموه بمعرفة الزايرجة والأوفاق ، فلما تولى سعيد باشا على مصر ، أمر ضابط مصر غبده باشا بجمع من يأكلون أموال الناس بالباطل بهذه الخزعبلات ، ونفيهم الى السودان ، فسيق المترجم معهم لما علق به من هذه التهمة ، فبقى فى السودان الى أن عفى عنه وعاد لمصر .

ولما تولى اسماعيل باشا على مصر ، تلألأ نجم المترجم ، وبدأ سعده ، فاتصل به ، وقربه هو والشيخ علياً أبا النصر ، وجعلهما نديمين له كنديمى جذيمة ، وصار لا يصبر عنهما فى مجالس أنسه ، فكانا إذا حضرا تلك المجالس أزاحا الكلفة وتبسّطا معه فى القول والتندر ، فكانت لهما فى ذلك من النوادر ما يملأ الأسفار . وقد بلغ من شغفه بهما أن خصص لهما قاعة بديوانه يجلسان بها كأنهما من المستخدمين فيه . وحدث مرّة أن أمر بكتابة ألواح على باب كل قاعة فى الديوان ، ليُعرف من بها ، كقلم التشريفات ، وقلم التحريرات ونحوها ، وسألها العامل عمّ يكتبه على قاعتهما ، فقال المترجم أكتب عليها : إنما نطعمكم لوجه الله . وبسبب تقرّب المترجم من الخديو قصده الناس فى الشفاعات عند الكبراء ، ونفع الله به خلقاً كثيراً ، جزاه الله عز مسعاه خير جزاء .

ثم لما عزل الخديو ، وتولى ولده محمد توفيق باشا ، شغف أيضاً بالمترجم وأحلّه محلّه من القبول . حتى كانت الفتنة العرابية وسفر الخديو الى الاسكندرية ، فانضمّ المترجم الى العرابيين اضطراراً أو اختياراً ، فلما عاد بعد الفتنة لم يؤاخذه ، وصفح عنه ، وقابله المترجم بقصيدة مطلعها .

كل حال لضده يتحوّل فالزم الصبر إذ عليه المعوّل

تبرأ فيها من الفتنة ، وأبان عذره فى الانضمام الى العرابيين ، وزاد بعد ذلك من الخديو قربا ، وخصوصاً لمّا بني قصره بحلوان ، فانه كان اذا سافر اليه كل اسبوعين ، ركب من هنا سفينة بخارية وذهب بها الى ضيعة المترجم التى بشرق أطفيح ، فيقيم عنده يوما ويتغدى فيها ، وهو شىء لا يفعله مع غيره . ولهذا السبب اعتني المترجم بتلك الضيعة ، فغرس فيها البساتين والكروم ، وبني قصراً صغيراً لنزول الخديو ، وحرمه وحاشيته ، ولم يزل هذا شأنه معه حتى مات الخديو ، فلم يكن له حظ مع ولده عباس باشا ، كما كان مع أبيه وجدّه ، فجعل أكثر اقامته بتلك الضيعة ، يشتغل باستغلالها ومطالعة كتبه ، فاذا حضر لمصر نزل بداره التى بجهة باب اللوق ، فيقيم بها أياماً . ثم يعود ، ولم يزل كذلك حتى اعتلّت صحته وطال مرضه أشهراً ، حتى توفاه الله الى رحمته فى يوم السبت ١٠ شعبان سنة ١٣١٣ عن سنّ عالية ، وقد شبع من الأيام وشبعت منه ، ونال من العز والجاه الى مماته مالم ينله غيره

وكان رحمه الله آية فى حسن المجالسة ، محبباً الى القلوب ، أديباً شاعراً ، حاضر الجواب ، فكه الحديث ، اذا عرفه انسان تعلق به ، وكره مفارقته ، مع أنه كان دميم الصورة ، أطلس ، ليس فى وجهه إلاّ شارب خفيف ، وشعرات على ذقنه . ولما حضر لمصر السلطان برغش ملك زنجبار ، ندبه الخديو اسماعيل باشا لمرافقته ومجالسته ، فلازمه مدّة مقامه بالقاهرة ، وأعجب السلطان به اعجابا شديداً . ثم لما عاد لبلاده ، صار يتعهّده بالرسائل والهدايا من العنبر ونحوه كلّ سنة ، فيهدى هو بها أخصّاءه وأصحابه . وكذلك ما كان ينتج ببساتينه من غرائب الفاكهة ، وأصناف

الأعناب النادرة ، كان موقوفاً جميعه على الهدايا لا يبيع منه شيئاً . واقتنى خزانة كتب نفيسة اجتمعت له بالاهــــداء والشراء ، والاستنساخ وغالى فيها ، وبذل الأثمان العالية ، فجلبت له من الآفاق وعرفه تجار الكتب والورّاقون فخصوه بكل نفيس منها . ثم لما مات اقتسمها ورثته ، وبقيت الى الآن محبوسة تحت أيديهم لا ينتفع بها .

وكان أدباء مصر وفضلاؤها يقصدونه فى تلك الضيعة ، فينزلهم على الرحب والسعة ، ويقيمون عنده الأيام والأشهر ، وهو مقبل عليهم بكرم خُلُقه ولطائفه ، ومحاضراته المستحسنة ، وقد يقيم الانسان عنده شهراً أو أكثر ؛ وهو يؤنسه كلّ يوم بحديث جديد لا يعيده . وبالجملة فقلّ أن يوجد مثله ، أو يجتمع لانسان ما اجتمع له ، مع الورع والتقوى خصوصاً فى أواخر أيامه رحمه الله رحمة واسعة .

الشيخ محمد شهاب الدين

المصرىّ الشاعر

شريف النسب اشتغل أولاً بالقبانة ، ثم دخل المحكمة الشرعية تلميذاً للتعلم ، ومال للأدب ، ونظم الشعر ، وداخل الأعيان حتى اتصل بعباس باشا والى مصر ، وتقرب اليه ومدحه بالقصائد فأحبه وقرّبه حتى صار كبير جلسائه وندمائه ، وجعل له فى كل قصر من قصوره حجرة يبيت فيها الليلتين والثلاث اذا طلبه للمجالسة والمنادمة ، وأفاض عليه من نعمه ، وقبل شفاعته حتى صار له بذلك جاه طويل عريض ، وله معه نوادر غريبة ، منها أن المترجم كان جالساً فى حجرته مرة فى أحد القصور ، ومعه بعض جلساء الوالى ينتظرون الاذن بالدخول اليه ، فقال فى عرض كلامه : يقولون إنّ البغلة لا تحمل ، أفلا يكون ذلك بسبب رطوبات أو ما أشبهها تعيق حملها ؟ وعند أفندينا أطباء كثيرون ، فلو أنه أطال الله بقاءه أمر بعضهم بالبحث فى سبب هذه العلّة وازالتها ، فلست أشك فى أنها تحمل بعد ذلك . وأسرع بعض العيون ، فبلّغ عبّاسا باشا كلامه ؛ فجاءه بعد هنيهة أحد رجال القصر يقول له : يا أستاذ يقول لك أفندينا أننا سنأمر الأطباء بما أشرت ، ولكن إذا لم تحمل البغلة ماذا يكون ؟ فبهت القوم لنقل المجلس بهذه السرعة إلاّ المترجم ، فانه وقف وقال : بلّغ أفنــــدينا أنّ عبده شهابا له كذبتان كل سنة أيام الباذنجان ، هذه إحداهما .

وكان رحمه الله رقيق المزاج ، أنيس المحضر ، لا يملّ جليسه من نوادره ، وتعلّق بعلم الموسيقى فبرع فيه ، وأخذه عنه كثيرون وجمع فيه كتاباً سمّاه سفينة الملك . وله ديوان شعر طبع بمصر ، وكانت وفاته سنة ١٢٧٤ .

الشيخ محمد أبو الفتح الحنفى

مفتى الاسكندرية

ولد فى أوائل القرن الثالث عشر ، وطلب العلم بالأزهر على الشيخ الصاوى وغيره من شيوخ الوقت ، ثم انتقل لرشيد وتزوج بها بنت السيد عباسى من مشهورى رشيد . وكان ملازماً للشيخ محمد البنا الكبير ، فلما انتقل الشيخ الى اسكندرية انتقل المترجم معه وبقى بها وانتخب أميناً لفتواها ، وكان مفتيها إذ ذاك الشيخ الدويرىّ ، ثم لــما مات الدويرىّ تولى البناء الافتاء فنقل المترجم لمنصب آخر ، ولــما مات البنا تولى هو إفتاء الثغر وبقى به الى أن مات . وكان له شغف زائد بجمع الكتب واقتناء نفائسها ، حتى اجتمعت له خزانة نفيسة بيعت بعد موته بثمن بخس . وكان رأى بناته وزوجته ابقاءها فلم يرض ولده ، فذهبت وتفرقت بعد ما عانى أبوه ما عانى فى شرائهــا واستنساخها . وكان له ولع أيضاً بجمع الساعات فجمع منها نوادر وطرفاً بيعت بعد موته أيضاً ، ولم يترك شيئاً من الحطام سوى دار باسكندرية كان يسكنها فى أواخر أيامه وكانت وفاته يوم الاثنين سادس شهر صفر سنة ١٢٩٤ ودفن يوم الثلاثاء ، ورثاه الشيخ عبــد الرحمن الابيارى قاضى اسكندرية بقصيدة مطلعها :

أهذى سيوف الدهر جرّدها الدهر
أم السنة الشهباء جفّ بهــا الزهر

ومن مؤلفاته كتاب تبويب الأشباه والنظائر لابن نجيم ، وشرع فى كتاب آخر فى الفقه لم يكمله ، وكانت له يد طولى فى علم الميقات ، وهو جدّ صاحبنا العالم الفاضل الشيخ حسن منصور لامّه .

أحمد تيمور

في الأدب العربي

أبو العتاهية

بقلم عبد الحليم عباس

لا أعرف . ماهو هذا الشيء الذي يجذبني الى قراءة هذا الشاعر ، ومعاودة هذه القراءة الفينة بعد الفينة .

فليست جودة شعره هي كل شيء ، فهناك من يفوقه طلاوة لفظ ، وصحة أداء ، وسمواً في الشاعرية .

لا لأنه يعيد لنا صورة حقبة رائعة للمجد العربي ، والحضارة العربية ، التي نما في أحضانها وتقلب في أعطافها ، والتي تغذي فينا هذه العزة القومية ، التي نشعر أنها مثلومة ، كلما رأينا الوطن نهباً مقسماً مهيض الجناح . . . هناك غيره من الشعراء ، يمثلون أروع الحقب ، وأزهى الأزمنة للفتح الاسلامي ثم نحن لا نستطيب أحاديثهم ، ولا نستملح سيرهم بهذا المقدار . . ولعلّ السبب يعود الى هذه العواطف والفكر ، التي يبعثها فيك هذا الشاعر ، والى هـذا التركيب النفساني ، الذي يبعث فيك صدى متضارب النغمات ، ومزيجاً من العواطف فيها السخرية المشوبة بالعطف ، وفيها الضحكة العالية ، تنطلق لتقطعها عواطف الرثاء والرحمة . . وليس هذا بالقليل ، وأية متعة أسرُّ للنفس ، وأخصب للفكر ، من أن تفخر وترثي وتتفكه وتعبث . ثم تستعبر لتعود فتضحك ملء أشداقك . انهـا الحياة مصغرة في سيرة شاعر ما أحراها منا بدراسة مستفيضة .

نسب أبي العتاهية وعصره

قوام النقد في العصر الحديث

النقد الحديث يقول إن العبقري ثمرة عصره ، غذتهـا هذه الأصلاب ، وهذه البطون تتلقفها ، وهي تنسل من الأجيال ، وتتمشى ببطء الى زمنها المقدور وميقاتها المحتم ، فالبحث في خصائص العباقرة ، يجب أن تتناول قبل كل شيء البحث في أزمانهم ، وتحليل هذه العوامل التي تتضافر على خلقهم . ثم مقياس إبداعهم الفني ، وما يتركون من آثار ، بمقاييس الجمال والفن المتواضع عليها في أزمانهم . .

ولا مشاحة في أن هذه النظرية ارتفعت بالنقد الى حيث أصبح مأمون الجانب من عبث الأهواء ، وتقلب الميول ، وألقت ضياء على هذه الدياجير التي كانت تعتور الباحث ، وتتكاءد المنقب . ؛ بيد أنها من وجهة ثانية جادت على العبقري ، ولم تحسب لهذا السر يُودَعُ في نفسه حساباً في أبحاثها ، فليس الزمن ، وليست قوانين الوراثة ، هي كل شيء في إيجاد العبقري وتكوين رسالته . وإنما هو سر غامض مستعص حله كغيره من هذه الأسرار التي تحيط بهذا العالم الأكبر والأصغر ، والتي يحاول العقل جهده إماطة اللثام عنها ، ثم لا يجد غنيمة بعد الكد إلا سلامة القفول . . . وإلا فأي شيء هذا الذي يخلق الأثنين من صلب واحد ، وفي زمن بعينه ، ثم تتسامى نفس احدهما وتفتح أفكاره ، فاذا هو يغذي الانسانيـة بزاد المعرفة ، ويتسامى بها ، ويزيد في ذخيرة الخلود . وأما الثاني فيعيش خاملاً مغموراً ويندس في سواد الناس . . فقمين بنا أن نحسب لهذا حساباً في أبحاثنا . . ثم نحسب لهذا المزاج والتركيب النفسي في الشاعر ، وهو أثر من آثار هذه الهبة ألقته القوة المجهولة ، في نفس الفنان وركبت أعصابه على مثال خاص ، ليتلو رسالته ويهتف بلحنه على نغمة مرقومة ونحو خاص : حساباً علّه لا يقل أهمية عن عوامل الزمن وقوانين الوراثة . . .

وما أحرانا ونحن نبحث بحثاً مقتضباً عن الشاعر — أبو العتاهية — أن نغفل — ولو الى حين — عوامل العصر والوراثة لنتكلم عن مزاجه ، وحسبنا أن نعلم عن العصر والأصل . . أن أبا العتاهية تحدر من أصل وضيع ، ومن الموثوق أنه اشتغل ببيع الفخار ، ورافق المخنثين . أما الزمن فيكفينا أن نعلم أنه من هذه الأزمان التي كانت تنكر كل فضيلة ، والتي يطلق عليها كلة المتشائمة « pessimistes » والتي كان الشك ، والاغراق في المجون أظهر مميزاتها .

مزاج أبي العتاهية

وأول ما يطالعك من مزاج أبي العتاهية هذا التناقض ، وهذا الاضطراب ، فيما يأخذ ويدع ، وفيما ينهج من سبل

فلقد تجاذبت نفسه طرفي النقيض ، وكان يرى الدنيا ويلابس الوجود على هدي نزعتين بينهما من الاختلاف ما بين النقيض ونقيضه . . فهو آونة مندفع بتيار اللذة مستغرق بهذا المجون ، الذي وصل بعصره حدّ الشناعة ، وطوراً تتقمصه أرواح الزهاد ، فيلبس المسوح ويهجر اللذائذ ، وتتملكه تملكاً عنيفاً فكرة الخوف من الموت . فاذا هذه الدنيا باطل ، وإذا هو موفٍ من الصلاح على الغاية .. حتى ليحار فيه أهل عصره ، وقد تصل بهم الحيرة الى حد أن يحيلوا أمره الى العبث ، ويرموه بالتدجيل ، والحق أن ليس فى هذا عبث ولا تدجيل ، وأن الأمر صادر عن عقيدة خالصة طهور ، وهذا التناقض قريب المرد إذا رحنا نستوضح خافيه على ضياء مزاجه ، حتى نرى أن قد تقاربت هذه المتناقضات ، فاذا هي تنبع من عين واحدة . .

فأبو العتاهية — لم يكن مستقيم المزاج وانما هو مضطربه ، وقد طغى فيه الجانب العاطفي ، ولم تتح له نشأة صالحة ، ولا بيئة هادئة ، تخفف من حدة هذا الأضطراب ، وتأخذ بزمام هذه العاطفة الى حيث يتملكها العقل ، ويفرض عليها سلطانه ، وقد بلغ من طغيان هذه العاطفة أن أصبح الشاعر عرضة لانفعالات مخيفة مستهجنة فى عرف العقل ، والعاطفة الصحيحة ، كأن يتخذ — مثلاً — لباسه من قوصرتين يدخل رأسه فى احداها . ويدخل رجليه فى الأخرى ، كل ذلك زهادة فى الدنيا وكرهاً لنعيمها ، ولكن أية سخرية تتملكك إذا رأيته يلقيهما بعد حين ليتخير على المنى ، ويجرى مع الغواية ، وليسيم سرح اللهو ، على أن ينفض يده كرة أخرى من نعيم الدنيا ، ويجلس حجّاماً لأبناء الفقراء ، يبتغى المثوبة ، ويطلب الباقيات الصالحات ، ثم تكون آخر أمنياته . وقدمه فى حياض الموت أن يسمع غناء مخارق .

كل ذلك جائز فى عرف هذا المزاج المضطرب وليس بمستغرب منه ، وانما المستغرب أن يمشى وفاق نظام معين ، وخطة مقررة . . وإذا عرفنا هذا من أبى العتاهية ، فقد عرفناه ظاهراً وباطناً ، وأصبح سيرنا معه مأمون الغرابة . وأصبح لهذه الخطرات المستغربة عللها الأصيلة المعروفة النبع والمورد . وأصبحنا نرقب منه فى كل أمر شذوذاً وانحرافاً الى ضده . فاذا رأيناه مثلاً ينعى على الناس حرصهم ويقول :

تعالى الله ياسلم بن عمرو   أذلّ الحرص أعناق الرجال

ارتقبنا منه أن يكون نادرة فى الحرص .

وإذا نهض ليرى الناس صغارة دنياهم وحقارة درهم وأموالهم .

إن مال المرء ليس له   منه إلا حظه الحسن
كل حى عند ميتته   حظه من ماله الكفن

عرفنا أنه أعجوبة الزمن ، ونادرة العصر ، فى البخل والتقتير . . عاتبه صديق له على هذا البخل المنقطع النظير وقال له : إن الناس يزعمون أنك من شدة بخلك ، وفرط تكالبك على حطام الدنيا لا تأكل اللحم — أو الأصح تشتريه — إلا فى العيدين ، فتأوه أبو العتاهية وقال : والله لقد ظلمونى . وأنى قد اشتريت لحماً وتوابل فى يوم عاشوراء .

على أننا نرى هذا البخل فى حاجة الى كلمة خاصة ، فلقد كان من المنتظر أن يهب أبو العتاهية ولو مرة ليتلف هذا المال ويبذره جرياً مع هذا المزاج ، ولكنه لم يفعل هذا ولا جال بنفسه : وعلة هذا تعود الى أمرين ، أولها أنه نشأ فى صميم الفقر ، وذاق غصته ، وعرف أن المادة هى كل شيء فى قيم الرجال

ما الناس إلا للكثير الما   ل أو مادام فى سلطانه

وكان سيء الظن بالناس ، يخشى عادية الفقر ، ويخشى أن طاح به غدر الزمان ألا يجد أخاً معيناً

أنت ما استغنيت عن صا   حبك الدهر أخوه
فاذا احتجت إليه   ساعة مجك فوه

والسبب الثانى ، أنه أرضى مزاجه الغريب ، بمناقضة الناس وشدة حرصه وتكالبه ، فكلما عنّ له أن يتلف ماله ذكر سوء المنقلب . فيندفع غلواً فى التقتير .

* * *

وأبو العتاهية سوداوى المزاج من نوع خاص يميل إلى ما يميلون اليه ، ولكن أعصابه ما كانت لتقوى على السير على منهاجهم . فهو يتبرم بالناس وينشد الوحدة

برمت بالناس وأخلاقهم   وصرت أستأنس بالوحده

ولكنه لا يقوى على وحشة الوحدة . فيعود ليندفع بشدة فى صخب الاجتماع ، فهو ضعيف الأعصاب من جهة ، ومضطربها من جهة ثانية ، وأصدق مظهر يدل على ضعف أعصابه

ما كان من أمره فى شأن الدين . فقد زعم أهل عصره أنه كان زنديقاً ، وقد انتابه الشك فى أمر العقائد ، وجاراهم فى هذه النظرة رجال النقد الحديث ، ولكنهم لم يبينوا لنا مدى هذه الحيرة فى أمر الدين ، ومقدار هذا الشك . فهو قد شك وحار ، ولكنه شك الطفل وحيرته ، تروعه الأشباح وتتملك وعيه الهواجس ، فلا يجد بداً من الاستسلام فيروح يتعلق بالدين تعلق الخائف ويستسلم الى خرافاته استسلام العجائز

إلهى لا تعذبنى فانى مقرٌّ بالذى قد كان منى
فمالى حيلة إلا رجائى لعفوك إن عفوت وحسن ظنى

وانظر اليه لتتحقق صدق هذه النظرة وهو يناجى الموت ، فما كان ليقف عنده وقفة المعرى يسأله ويستوحيه عن أسراره وغوامضه ، وانما هى وقفة الخائف الرعديد ، تلجمه روعة الموقف وتأخذ عليه الدهشة مسارب الفكر ، فاذا كلُّ مايهجس بخاطره ويدور بخلده ، خشوع عميق ، ووصف مقتضب للموت يلوذ بعده ، إلى إظهار التوبة والضراعة

كلنا فى غفلة والموت يغدو ويروح
لبنى الدنيا من الدنيا غبوق وصبوح
رحن فى الوشى وأصبحن عليهن المسوح
نُح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح

ويزيد فى رخاوة هذه الأعصاب واضطرابها أن أبا العتاهية لم ينل حظاً وافياً من الثقافة ، وكان أيضاً ضعيف الخبرة بالدنيا لم يمر عليه من التجارب ، ما يصقل هذه العاطفة المستوفزة .

ولمعترض أن يقول : كيف يكون ضعيف الخبرة ، قليل التجربة من طفحت بأمثاله كتب الأدب وأسفاره . فهو قد نظم أرجوزة فحسب ، أودعها مئات بل آلاف الأمثال والحكم الرائعة ، وصحيح هذا ، بيد ان هذه الأمثال ونحن نقلبها ونعيد تلاوتها ، لا نجدها تدل على علم مستفيض وخبرة واسعة ، فكلها فى معنى واحد ، وان تجاوزته فالى معان متشابهة مطروقة ، فهو يرى أن الدنيا ما برح مقدورا عليها الفناء ، فخير زاد للمرء التقى ، أو السمعة الحسنة ، ومن يقل غير هذا ؟

حسبك مما تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا من اتقى الله رجا وخافا
هى المقادير فلمنى أو فذر ان كنت أخطأت فما أخطا القدر
كأن كل نعيم أنت ذائقه من لذة العيش يحكى لمعة الآل

وهكذا دواليك من العبر الرخيصة القريبة المتناول ، والتى لا تحتاج إلى سعة فى العلم ولاسمو فى التفكير كالتى تجرى على لسان المتنبى مثلاً : وانما تحتاج إلى هذا اللسان الذرب ، والشاعرية السمحة . ومن أولى بها من هذا الذى كان يتناول الشعر من كمه كما يقول الأصمعى ، ولعلَّ هذا هو السبب الذى يعود إليه كثرة السقط فى شعره .

شرق الأردن — **عبد الحليم عباس**

أغنية النيل ..

للشاعر الحضرمي علي أحمد با كثير

يا جسر إسماعيلْ   بُورِكْتَ من جسرِ
أنت سِوارُ النيلْ   رُصِّعَ بالدُّرِّ !
حلا بِهِ وازدانْ   معصمُهُ الناعِمْ
كأنَّهُ وسنانْ   بالأملِ الحالِمْ !
بين المصابيحِ   في نورها الفاتِرْ
تُوحِي بما توحي   للمُلْهَمِ الشاعِرْ
من نجمةٍ وسنى   لنجمةٍ وسنى
قد كسرت جفنا   فأغربت حُسنا !
مَنْ عَلَّم النُّورا   فلسفةَ الكسرِ ؟
أَستلْهَمَ الحُورا   دقائقَ السِّحْرِ ؟ !
مَنْ عَلَّم النُّورا   ترنيقةَ الطَّرْفِ ؟
أستلهم الحورا   صناعة الحَتْفِ ؟ !

***

في شطِّهِ قامَتْ   بواسقُ النَّخلِ
عرائس هامَتْ   بالمَيْسِ والدلّ
برَزْنَ ممشوقاتْ   ورافعاتِ الهامْ
يُحْسَبْنَ - منسوقاتٍ - علامَ الاِسْتِفْهام ! (١)
والقمر المحزون .   مبتسم الثغرِ
يبكي لمن يبكون   من عَنَت الدهر
يسامر العاشق   ويسعد الولهان
ويسعف الغارق   في لجج الأحزان
وساخراً يبسمْ   بَسْمَةَ فُولْتيرِ
من هالك ينعمْ   بعيشِ مغرورِ
سخريةً تعلمْ   بواعث السخرِ
من عالمٍ يحلمْ   وقَدَرٍ يجري !
يطوف بالأرضِ   في سِخْنة الناقم
لسُنَّةٍ تقضي   فراقها الدائم

(١) علام : جمع علامة

منعكس نورُه   في صفحة الماء
راقصة حُورُه   بلحن لألاء !
كأنه أحلامْ   أحلام حسناء
لا تعرف الآلام   تعصف أهواء !

***

والنسَمُ الهامِسْ   في أُذُنِ الليلِ
يَبُلُّ ما لامَسْ   بطرَفِ الذيلِ
يمسُّ — في رفقٍ —   جسمك مبتلاً
كصالحٍ يَرقى .   بالذكر معتلاً ! ! (١)

***

والزورق الناعِسْ   يغفو على الماء
كالبائس اليائس   في وسْطِ نعماء !
يرتّل الشعرا   مجدافه اللاغبْ
يشيّع العمرا   ويندب الصاحبْ
يجري فيرعاه   — في ألمٍ — بالي
يهيجُ مسراه   ذكرى الهوى الخالي !
غنّى به الملّاحْ   أغنيةَ الحُبّ !
يكرّر التّصداحْ   بالنغم العذب
يمدّها : ياليل !   ياليل .! يا عيني !
مناديا بالويل   من ألم البين
يجري على نهرٍ   سيماؤه العطفُ
يهفو على مصرٍ   وشَدَّ ما يهفو ! !
يمشي على هَوْنٍ   مشيَ الطواويسِ
من عهد فرعونٍ   موسى ورمسيس
يطوي لها البُعدا   شهراً على شهرِ
من خلف (اوغندا)   في لهفٍ يجري !
يخترق السودانْ   لأخته مِصْرِ
قُطران معدودان   ألدهرَ كالقُطْر !
حتى إذا وافى   من بعد ما أعيي
طوّف تطوافا   بكعبة الدنيا !

(١) يرقى : من ارقية

وراح ينصبُّ .. للبحر فى اطمئنانْ
كما قضى الصبُّ بعد اللقا جذلانْ !!

***

ما جشّم النّهرا تلك المشقّاتِ ؟
عاراً بها سِرّاً من أجله يأتى
أراحمٌ يسقى جُرْد صحاريها ؟
أم عاشقٌ يبغى لثم عذاريها ؟ !
قطرةٌ منهُ ترشفها غادهْ
لاهيةٌ عنهُ تكفُل إسعادهْ !!

***

أوّاه ! هل نجهلْ ما عرف الماء ؟
فى عزّها تُقتَلْ ونحن أحياء !!
يا مصر نفديكِ نحنُ بنى يعربْ !
آمالنا فيكِ كالشمس لا تغرب !!
مَنْ ذا يواسيكِ إن لم نكنْ نحنُ ؟
لَحْنُ أمانيكِ لكنّنا لَحْنُ !!

***

جزيرة العُرب مصرُ لها أمّ
عقيدةُ الربّ تجمع والجِذْمُ
ليس لها عنها صرفٌ ولا تحويل
معدودة منها ما دام يجرى النيل !
(فؤاد) يحميها مليكها العادلْ
من طامع فيها مخادعٍ خاتلْ
وراءه الشّعبُ نَسلُ الفراعين
تحفزه العُربُ وعزّة الدين
مَلْكٌ به باهتْ ممالك الدنيا
بفضله نالتْ رُتبتها العليا
قلّدها مجداً لجدها التالدْ
جدّدَ أو ردّا جلالها الخالدْ
فى عهده الميمون ارتقت « الفُصحى »
إذ كان كالمأمون لم يألُها نُصحا
(جامعة) الآداب و (الدار) و (الأزهرْ)
تهيّئ الطلاب للحادث الأكبر !
يختصُّ بالاعظام وخالصِ الحُبِّ
جامعةَ الاسلام ووحدةَ العُرْبِ
عاشَ و (فاروقا) لبَيْضة الاسلام
كلاهما يُوقَى من نُوَب الأيام
للوحدة الحقّ ! للوحدة العظمى !
مُبلغةِ الشرق مكانه الأسمى

***

يا مصر نفديك ! نحن بنى يعربْ
آمالنا فيك كالشمس لا تغرب !
مَنْ ذا يواسيكِ إن لم نكن نحنُ ؟
لَحْنُ أمانيكِ لكنّنا لَحْنُ !!

على احمد باكثير

يا طبيب ..!

لا تقل يا طبيب إنك ماضٍ بشحوبى ولوعتى وذبولى
حبذا الضعف والهزال دواء لفؤاد المشرّدِ المتبولِ

***

إيه يالحظة الوداع ، لقد جُرْ تِ على المدنَف الطريد العليلِ
قبلاتٌ مسكوبةٌ فى سكونٍ وعناقٌ فى ضجّةٍ وعويلِ
ودموعٌ ممزوجةٌ بدمٍ يجرى من القلب ، مستفيضِ الهطولِ
وزفيرٌ يكاد يحرق أحشاء المُعنَّى من وَقْده والغليـــلِ
وذراعٌ هوتْ تعانق خصراً صيغ من تربة الضنى والنحول
ويَدٌ فى يَدٍ تُسِرّانِ أشياء بضغطِ مُحبَّبٍ وذهولِ
وعيونٌ تَقصُّ بالنظر الفاترِ أقصوصةَ الغرامِ الجميلِ
وتَنُصُّ الآمالَ تاجاً من السحرِ على مفرق الزمان الجهولِ !

***

حين سار القطار طارَ صوابى وتمايلتُ فى ذهولٍ طويل ...
وطغَتْ علّتى . وجُنَّ جُنونى ووهَتْ قُوّتى . وضلّ سبيلى !

***

لا تقل يا طبيبُ إنك ماضٍ بشحوبى ولوعتى وذبولى
ثغرُها يا طبيبُ طِبّى فَعَجِّلْ ببَوا كير رِيقهِ المعسولِ !

مختار الوكيل

في الأدب الانجليزي

ديكنز وولز

بقلم رشدي ميخائيل السيسي

فترات تقصر أحياناً ، وأحياناً تطول وتطول ، ليس يعنيني أن أعرف أهي من صفاء الذهن وراحة البال ، أم ضجر طارئ وملال ، أعكف فيها على القراءة والاطلاع ، فأذهب إذ ذاك الى دنيا غير هذه الدنيا ، ويغمرني احساس غير ما يغمرها من احساس ، وسأخفق إن حاولت أن أظفر بتعليل لهذا العكوف : أتدفعني اليه رغبة الاعراض عن حقائق الحياة خشية الاصطدام بها ، أم يغريني به نزوع الى تفهم هذه الحقائق ونشدان هذا الفهم فيما ضمته صفحات الكتب من عصارة الأذهان ؟

لن أظفر بجواب قاطع ، ولا يعنيني أن أظفر به ، إنما أؤكد أنه ليس أحب الى نفسي في مثل هذه الفترات من أن أتناول بيدي أثراً من آثار « ديكنز » معبود الانجليز ومهبط وحيهم بعد شكسبير ، وأن أذهب معه في سلسلة من الرحلات نغشى في خلالها رياضاً من الأمل الواسع العريض فنستنشق العبير ونتفيأ الظلال ، ثم نروح تائهين في صحاري من الشقاء ، فنكتوي بلافح الحر وقاسي الهجير ، ثم لا نحرم في هذا المدى المترامي من الشقاء القاحل أن نلمح واحة الرجاء من بعيد فنتسابق اليها نتقي وهج الحر ولفح الهجير ، ولكننا لا نأمن بين الحين والحين على أقدامنا وجسومنا أن تدميها أشواك من اليأس والخيبة ، ثم لا نلبث أن نرتفع على أجنحة الخيال الى سماء من السعادة والثراء .

وديكنز في هذه الأثناء لا يفتأ يحدثني في لهجة تلين وترق حتى لكأنها حفيف الأشجار وموسيقى الآلهة ، ثم تعلو وتشتد حتى لكأنها دوى العواصف وقصف الرعود ، يروح يحدثني عن القناعة وعن البؤس والبائسين ، ويحدثني أيضاً عن التمرد وعن الظلم والظالمين ، وكأنه يسكب على جراحات التمرد من نفسي بلسما من القناعة والرضا ، ولكنه لا يني بعد ذلك أن يمزق بيده ما عالج من جراحات في قسوة الحقيقة وعنف الواقع ، بينما هو يتحدث الى في لهجة يفعمها الألم والغضب عن استبداد الغني بالفقير ، وعن افتراس القوى للضعيف ، ويهيب بي وبقارئيه جميعاً في فكر عنيف وفي لفظ ملتهب شديد : أن ارحموا البائسين ودافعوا عن المظلومين !! ذلك هو ديكنز الكاتب الانجليزي الكبير الذي يملأ عين القارئ بالدموع وفمه بالضحكات في الفترة الواحدة ! والذي يمزج الجد بالهزل ، ويخلط الحكمة بالدعابة ، ويسوقها جميعاً في كتاباته طعمة سائغة فيها تنوع وجدة ، وفيها قوة وحق وجمال

***

وقد يعلم القارئ أن ديكنز مات عن ثروة كبيرة تبلغ عشرات الألوف ، فهو إذن قد ذاق حياة الترف والثراء وتنعم بها ، وهو لهذا لم يعجز عن تصوير هذا الضرب من المعيشة تصوير فنان خبير ، ولكنك إذ تقرأه وهو يقص تاريخ طفولته الحزينة القاتمة وما لاقاه إبانها من صدمات متتالية ومن متاعب جمة مع شظف العيش والحرمان ، لابد ستأخذك رعدة عنيفة من فرط التألم لهذه الطفولة المعذبة الشهيدة ، وستعلم السر آنئذ في قدرة ديكنز على التعبير عن آلام البائسين وشقاء الفقراء والمعوزين تعبيراً رائعاً مفعما بالحياة

وليس يخلو مؤلف لديكنز من آهات متوجعة ، ومن صرخات حزينة ، ومن دموع ملتهبة ، يسكبها في غير حرص أو تقتير على مذبح الانسانية المضطهدة المعذبة ، الا انه لم يكن في كتاباته ناقماً عنيفاً الى الحد الذي يثير الفقراء على الأغنياء ويدفعهم الى الحاق الأذى بهم ، بل كل ما كان يرمى اليه أن يهز النخوة ويلين القلوب ويستدر منها العطف والرحمة والايثار ...

ولد ديكنز عام ١٨١٢ وعاش ثمانية وخمسين عاماً قاسى في العقدين الأول والثاني منها ما قاسي لفقر والديه المدقع ولزجهما في السجن وفاء لديونهما ، ولكنه بدأ يرقى سلم المجد منذ استهل العقد الثالث ... واشتغل في أوائل شبابه بالصحافة فكان مخبراً لبعض الصحف ، ثم مندوباً برلمانياً فمحرراً ، فكان بحكم عمله هذا مضطراً الى ان يزج بنفسه في كل بيئة ، وأن يختلط بكل طبقة ويعاشر كل طائفة من الناس ، فاكتسب خبرة وافرة بمختلف الشخصيات ومختلف النفسيات بعد دراستها دراسة وافية ، فأفاد كل الفائدة بهذه الخبرة ، إذ تيسر له أن يوفق الى أبعد حد في تصويره للشخصيات المختلفة التي تناولها في قصصه ورواياته

ويشبه ديكنز من هذه الناحية بعض الشبه « ولز » الكاتب الانجليزي المعاصر الذي اشتغل بالصحافة فأصبح لا يكف عن التعرض لمشاكل العالم الاجتماعية الراهنة والاجتهاد في معالجتها

وفرض الحلول المختلفة لها فى أسلوب رائع مفيد ، بيدأنه على الرغم من هذا لن يكون الخلود من نصيب كتبه ، لأن قيمتها موقوفة على الجيل الذى عاش فيه ، وإن طال أجلها فلن تتعدى الجيل الذى يليه ، إذ سيجد العالم المتطور إذ ذاك أن كل ماجاء بها من نظريات ومبادئ قد تحقق جميعه أو جله ، واقتصرت أهميتها على الناحية التاريخية دون غيرها ، ذلك « لأن النزعة الصحفية فى الكاتب انما تعمل لفنائه لا لخلوده ، وهذا الفناء هو فى الواقع تضحية الكاتب بنفسه فى سبيل جيله » على حد قول بعض كتابنا الاجتماعيين

واذا صدق هـذا الرأى عند تطبيقه على « ولز » الذى لم يكترث لغير علاج المشاكل الاجتماعية فهو لا يصدق اذا أرسلناه على إطلاقه ، وخاصة اذا أردنا تطبيقه على ديكنز

صحيح أن ديكنز قد كتب معظم قصصه الرائعة للصحف إذ ذاك ، ولـكنها ستظل خالدة على مدى العصور ، خلود مافيها من قوة ومن حق ومن جمال ، ولأنها انتزعت من صور الانسانية انتزاعاً ، فلأنها عواطف هذه الانسانية التى لن تتغير ، أجل ، وستظل خالدة لأنها صورة من الفن الخالد رسمتها ريشة أديب فنان سيعيش تراثه على مدى العصور ، وليست موضوعاً اجتماعيا يتغير ويختلف وفقاً للحوادث والظروف ، ويزداد مقدار ما فيـه من الصحة أو يقل تبعاً لقدرة كاتبه على وضع الفروض والاحتمالات الصحيحة والاستطراد منها الى تقرير نتائج يثبت المستقبل القريب أو البعيد صحتها ، فولز إذن ليس كاتباً اجتماعياً فحسب ، ولـكنه كاتب ثاقب البصر بعيد النظر ، صادق الفراسة ، سليم المنطق والاستدلال . أما ديكنز فأديب فنان ينقل الينا أحاديث الطبيعة والانسانية وعواطفها ، ويعبر عنها جميعا أصدق تعبير وأجمله ، وهو فى مهمته السامية لايختلف بأى حال عن المصور المبدع أو الشاعر المطبوع . فى الحق انه يكفيك أن تقرأ أى كتاب لديكنز حتى تصل الى هذه النتيجة الصحيحة عنه دون لأى ودون اجهاد

والأديب اذا تناول أى موضوع من المواضيع التاريخية أو الاجتماعية — أو حتى الاقتصادية الجافة — وجعله مادة لـكتابته تراه لايفتأ يرويه بدماء قلبه الحية ويغذيه ، ولا يفتأ يسبغ عليه من روحه ونفسه وشتى عواطفه واحساساته ، حتى يبعث فيه الحياة بكل معانيها وصفاتها ، ويكفينا اذا أردنا تطبيق هذا القول على ديكنز ومخلفاته الأدبية أن نستعرض كتابه أو بتعبير أدق طرفته الفنية الرائعة « قصة عن مدينتين » فتؤمن بصحته كل الايمان ، نعم ! فبالرغم من أن موضوع هذه القصة تاريخى جاف وهو تاريخ الثورة الفرنسية ، وبالرغم من أنه تاريخ دموى مروع تقشعر منه الأبدان ، وأنه غير حديث العهد بنا ، فاننا مع هذا لا نكاد نقرؤه حتى نحس فى أعماقنا أن هذه القصة فى جوهرها انمـا قد كتبت لنا وبيننا ، والتعليل المعقول لهذا أن الـكاتب قد استمدها من وحى الانسانية الخالدة غـير المتغيرة — الانسانية التى تؤلف بين جميع المشاعر وشتى الاحساسات — وانه قد استلهمها من معني الحياة غير الزائلة ، التى هى حق للجميع دون استثناء ، والتى قد ترك أمر فهمها وادراكها لهذا « الجميع » كل حسب اجتهاده ومدى تفكيره .

بيد أن هذا لن يكون حال كل اجتماعى مهما علا كعبه ونبه أمره ، لأنه إنما يعالج المشاكل الراهنة فى عصره التى لا بد أن تقتصر أهميتها على العصر الذى كتبت فيه ، وهو قد يفرض لها حلولا مختلفة يصدق بعضها أو معظمها كما هو الحال مع ولز فى كتابه الذى نشره قبل الحرب الـكبرى وقدر فيـه احتمالات صدقت فراسته فيها ، حتى لقد اعتبرها البعض من قبيل النبوءات ، ولـكن بالرغم من صدقها فان يقدر لهـا الخلود بأى حال كأى « تراث أدبى فنى » من مخلفات ديكنز العظيم ؟

رشدى ميخائيل العيسى

العلوم

فكرة النظام الشمسي عند الكنيسة

في العصور الوسطى

بقـــلم فرح رفيدي

ماهب صرح مدنية روما ينهار بقدوم البرابرة الأوربيين من الشمال حتى انتشرت الديانة المسيحية انتشاراً سريعاً ، وصادفت في قلب الشعب التعس تربة خصبة تنمو فيها ، لانتشائه بوعودها الجميلة ، ولأنها واسطة انتقال من حياة ملأى بالمصائب والعذاب الى حياة السعادة والهناء . فتأسس من معتنق هذه الديانة الجديدة جماعات أخوية تحت رعاية أحدهم يرشدهم الى الحياة القويمة ، أو يلقنهم دروساً في الحصول على الحياة الأخرى . ومن هذه الجماعات أو رؤسائها تكونت طبقـــة الاكليروس ، وفي يدها أمور الشعب الدينية والمدنية . وكان نظام هذا الاكليروس أشبه بنظام دائرة التأمين على الحياة : تتاجر بالنفوس ؛ فكان الانسان يُعطي ماله وأرضه ودينه ، وحتى عقلـه للكنيسة ، لكي يؤمن حياته بعد الموت . فان راعى قوانينها أُعطي تلك الحياة في الجنة ، وإن خالفها حرمته من الكنيسة وكان نصيبه جهنم بعد الموت .

لكن الكنيسة لم تنشأ فقط بعقائدها الدينية ، ولم يكن الكتاب المقدس دعامتها الوحيدة في بناء صرح نفوذها وتحكمها في الشعب ؛ بل كان هناك مع الديانة المسيحية المدنية اليونانية ، وهي ثروة كبيرة وتركة ثمينة خلفها الأقدمون ، فلم تقدر على اهمالها وطرحها جانباً والاكتفاء بتعاليم المسيح وحدها . ويرجع السبب في هذا إلى أن أثر المدنية اليونانية في قلوب الناس لم يذهب باعتناقهم الديانة الجديدة ، وليس من السهل أن يذهب تأثير قرون طوال بقيام نزعة جديدة ، وفي أمد قصير ؛ دعك مما كان لأرسطو وكتاباته من التأثير الجسيم في العقلية اليونانية أولاً وفي الكنيسة ثانياً .

قد نرى هنا الكنيسة بازاء الدين المسيحي والمدنية اليونانية تكاد تقع في مأزق حرج من احتمال تناقض العلم القديم بالدين المقتبس الجديد ، وقد ينتج عن رأينا هذا سؤال : كيف تمكنت الكنيسة إذن من التوفيق بين الاثنين ؟ أو كيف قدرت أن تستمسك في تلك النقطة الحرجة ؟ الجواب على ذلك هو أن الدين المسيحي والمدنية اليونانية القديمة لم يتناقضا قط ، وكيف يتناقضان والأول خرج من تأثير الثاني ؟ فمثلاً لم تكن هناك فكرة واحدة أساسية في أصل الكون عند اليونان ، حتى تناقض قصة الخليقة في كتاب التكوين ، وأساطير اليونان القديمة تحتوي على قصص كثيرة مختلفة في أصل الكون ؛ فليس من الغريب إذن أن تقتبس شعوب أوربا المتنصرة في ذلك الحين فكرة التوراة عن بدء العالم ، وأن تطرح خرافاتها القديمة جانباً . فالديانة المسيحية أتت موافقة للتعاليم اليونانية .

فاستمرت الآراء والمعتقدات اليونانية في النظام الشمسي وحركته آراء ومعتقدات للناس في العصور الوسطى . ولم يحدث هناك أي تغيير جديد أو انقلاب أساسي في النظام اليوناني القديم ، إلا ما زيد عليه بسبب الدين المسيحي ، من إدخال فكرتي الجنة والنار فيـه . وذلك ظاهر بالنظام الذي تصوره الشاعر الايطالي دانتي في منتصف القرن الثالث عشر :

تصور دانتي الأرض ثابتة في وسط الأفلاك السبعة ، ووراء الفلك السابع أي فلك زحل تصور منطقة البروج (zodiac) مكان النجوم الثوابت ، وفوق منطقة البروج ما يسميه بسماء السموات أو عليين (empyrean paradise) . ووضع جهنم في وسط الأرض ، وفوق الأرض تحت الأفلاك قسمه الى طبقات مختلفة العلو ، الأولى طبقة الماء من حيث تنزل الأمطار ، والثانية طبقة المطهر حيث يطهر غير الواقعين في الخطيئة المميتة ، وأخيراً طبقة الجنة الأرضية ، وتقع ما بين فلك القمر والمطهر .

هذا النظام دليل بين على مقدار توافق العلم والدين ، وامتزاج الاثنين معاً بصورة يصعب فيها تمييز الواحد من الآخر . ولأن دانتي شاعر خيالي يتصور نظاماً شمسياً يدلنا على عدم سير العلم حينئذ في الطريق الذي يضمن له التقدم الصحيح أو الانقلاب الى

ما هو صحيح وغير ذلك ، فقد كان الاعتقاد الشديد بأن منطقة البروج لها تأثير فى جسم الانسان . فالاثنا عشر برجاً كل واحد منها له تأثير خاص على عضو خاص فى جسم الانسان ، فمنها ما يؤثر على الرأس ، ومنها ما يؤثر على القلب ، ومنها ما يؤثر على الأطراف وباقى الأعضاء . وقد تخيلوا أيضاً أن بعض الكرات التى تدور عليها السيارات تختلف بحسب نظام خاص فى العدد والموسيقى ، وأن هذه الكرات تحدث فى دورانها نغمات متلائمة ، لا يحظى بسماعها إلا أناس مخصوصون . وهذه النغمات هى ما يسمونه بموسيقى الأفلاك (music of the spheres) تصعد لتمجيد الله الجالس فوق الأفلاك فى سماء السموات .

وأما لماذا لم يتقدم العلم فى العصور الوسطى ، فذلك ليس لتناقض العلم والدين ، وعدم مقدرة الشعب والكنيسة على التوفيق بينهما ، كما قال الدكتور سارطن (Sarton) ، بل لأن الديانة المسيحية زادت تأثير المدنية اليونانية على الشعب تأثيراً جسيماً ، حتى لم يكن عنده شك فى صحتها وضرورة الاستسلام اليها . من الأمور الظاهرة أن بعض العلوم اليونانية ، بصورتها كما تلقاها أهل العصور الوسطى ، لم تكن قابلة للتطور الأساسى ، وخصوصاً فى علمى الهيئة والنجوم ، وذلك لأن الأساس المبنى عليه علم الهيئة مثلاً كان خطأ محضاً . فنظام اليونان الشمسى مهما أتى أهل العصور الوسطى بالبراهين والحجج الدامغة ، ومهما زادوا عليه من تفاصيل وشروح ، لم يكونوا ليزدادوا إلا تعمقاً فى الخطأ وبعداً عن الصواب . وبعظم تأثير الكنيسة وأرسطو معاً على عقول الشعب كثر الاختلاف والتناقض فى الآراء والتعابير العلمية والدينية ، فعم الغموض وتولد الشك فى قلوب الناس فى كثير من المعتقدات السائدة . إلا أن الأرض ظلت ثابتة بين يدى الآله أطلس (Atlas) (١) مدة أربعة عشر قرناً الى أن أتى كوبرنيكس فى أواخر القرن الخامس عشر ، وحركها من بين يديه . وذلك لأنه رأى الاعتقاد بدوران الأرض حول الشمس أسهل من الاعتقاد بأن الكون بجلاله وعظمته وعدد شموسه يدور حول ذرة صغيرة فى الفضاء تدعى أرضاً .

فرج رفيدى

وقعت بعض أخطاء مطبعية فى المقال المنشور فى العدد ٥٥ بتاريخ ٢٣ يوليو الماضى فى هذا المكان فرأينا تصويبها وهى :

خطأ	صواب
Blanets	Planets
Btolemy	Ptolemy
فلل	فلك
٢٢ يوليو	٢٢ يونيو

(١) من اعتقادات اليونان أن الاله أطلس هو الذى يحمل الأرض بين يديه

مظاهر الحرارة الباطنة للأرض

بقلم نعيم على راغب
دبلوم عال فى الجغرافية

إذا كان هناك شك وتضارب فى الآراء الجغرافية عن ماهية باطن الأرض وحالته التى هو عليها ، سائلاً كان أم صلباً ، فانه ليس هناك أدنى شك فى أن هذا الباطن حار ، تدل على حرارته مظاهر ثابتة منها :

١ — المناجم والحفر العميقة : من المعلوم أن هواءها أشد حرارة من هواء السطح الخارجى ، وكلما زاد العمق ارتفعت درجة الحرارة تبعاً لذلك . ففى منجم Rosebridge بالقرب من Loigan الذى عمقه ٢٤٤٥ قدما ترتفع درجة الحرارة الى ٩٤° ف يقابلها فى الخارج ٥٠° ف ، كذلك شأن الحفر العميقة ، فان الماء يخرج منها فى درجة حرارة مرتفعة ، وبالقرب من باريس بئر عمقها ١٧٩٨ قدماً يخرج الماء منها فى درجة ٨١٫٥ فرنهيت .

٢ — الينابيع الحارة : Hot Springs وتلك ظاهرة تكاد تكون عامة فى العالم أجمع ، وعلى الأخص فى المناطق البركانية ، ومن أمثلة ذلك تلك الينابيع التى توجد فى مدينة Wiesbaden وكرلسباد ، وشمال غربى أسبانيا ، إذ يخرج الماء منها فى درجات حرارة عالية ١٥٨° ف و١٦٧° ف و١٩٢° ف على التوالى حسب الترتيب السابق .

٣ — النافورات : geysers وهى عبارة عن ينابيع ساخنة توجد عادة فى المناطق البركانية ، وتمتاز من الينابيع السالفة فى رقم ٢ بارتفاع درجة حرارة الماء الخارج منها ، إذ قد تبلغ ٢٦١ ف كذلك بقوة اندفاعه منها الى علو كبير قد يزيد على ٢٠٠ قدم ويطلق عليها بعض الجغرافيين أحياناً اسم البراكين المائية .

ويحسن بنا فى هذا المقام أن نعرف النافورات وأسباب ثورانها فنقول : — إنها عبارة عن عيون تتصل بباطن الأرض بواسطة قصبة على شكل أنبوبة يتراوح قطرها كثرة وقلة تبعاً للنافورة نفسها (فى النافورة الكبرى بجزيرة الجليد iceland يبلغ قطر النافورة ٨ أقدام ويحيط بها شبه حوض قطره يبلغ ٥٦ قدما وارتفاعه ١٥ قدما)

[البقية فى أسفل الصفحة التالية]

القصص

من الأدب التركي

فتـــاة الصحراء

رآها لأول مرة في صحراء فلسطين فأحبها وتزوجها ، ونقلها من تلك الصحراء القفرة الهادئة ، من وطنها العزيز إلى وطنه استانبول ، إلى ضوضاء المدن وجلبتها .

عاش الزوج سنين طويلة في البلاد النائية ، في الأماكن البعيدة عن وطنه ، ثم عاد ومعه كنز حبه ، تلك الفتاة التي تشبه زهرة ذابلة ، والتي نشأت وترعرعت في الصحراء بجانب نخلة عارية وفوق رمال حارة ، عاد بها إلى استانبول تلك البلدة العظيمة التي تجمع أصنافاً من الناس وأنواعاً من البشر ، وتعج بمن فيها من السكان . أراد أن يجد لها في استانبول العظيمة مكاناً تعيش فيه هادئة لا تذبل فتنصل (١) ولا تجف فتسقط .

كان متوسط الحال، فهو لا يستطيع أن يقدم إليها في بلد كاستانبول حياة صحراوية ، فلا بد له أن يجد لها في أقاصي البلدة مكاناً هادئاً منزوياً .

لم يتركا مكاناً في استانبول ولا محلة إلا بحثاً فيها عن دار فلم يجدا ما يوافقهما ، وبالأحرى لم تجد الزوجة ما يلائمها وما يلائم روحها الصحراوية ، وكانت تظن أنها إذا بحثت كثيراً في أنحاء تلك البلدة العظيمة وجدت منزلاً فيه روح الصحراء

كلما زارا داراً كان ينظر الزوج بطرف عينه إلى زوجته ليرى

(١) نصل الثوب تغير لونه .

ولتفسير أسباب النافورات يجب أن نذكر حقيقة جغرافية وطبيعية وهي أن الماء يغلي عند درجة ٢١٢ فرنهيت أو ١٠٠ مئوي تحت ضغط يعادل الضغط الجوي ، لذلك اذا زاد الضغط وجب أن ترتفع درجة الغليان ، وعلى هذا فان الماء الذي يوجد في أسفل قصبة النافورة قد تزيد درجة حرارته على درجة الغليان ولكنه لا يغلي عندها لوجوده تحت ضغط عمود الماء الذي يعلوه ، إلا أن ارتفاع درجة الحرارة يسبب تمدد الماء ورفعه الى مستوى أعلى من المستوى الذي كان عليه في قصبة النافورة ، وهذا يسبب تمدد الماء السطحي فيفيض على جوانب الحوض ، ولما كان الضغط قد قل بذلك على الماء الموجود في أسفل القصبة فانه يتمكن من الغليان ويتحول جزء كبير منه الى بخار يدفع طبقات الماء التي تعلوه ، ويسمع لمحاولته الخروج الى السطح العلوي أصوات شديدة كأصوات الفرقعة ، وعلى قدر قوة البخار يكون ارتفاع الماء المندفع .

وتوجد النافورات في مناطق ثلاث من العالم هي : —

١ — ايسلندا : ويوجد بها ما ينيف على ١٠٠ نافورة تزدحم بها منطقة بركانية صغيرة المساحة لا تزيد على ميلين مربعين .

٢ — منطقة يلوستون بارك Yellowstone Parck : في الولايات المتحدة وتقع في الغرب منها وفيها بضع مئات من العيون ، منها ما تزيد حجما وقوة على النافورات العظمى بايسلنده وأشهرها نافورة Old Faithful دقيقة في مواعيد تفجرها حتى لتكاد تضبط عليها ساعتك ، إذ أنها تقذف كل مدة تتراوح بين ٦٠ و ٨٠ دقيقة نحو عنان السماء عموداً من الدخان الأبيض الى ارتفاع ١٥٠ قدماً مكوناً منظراً من أجمل المناظر الطبيعية .

٣ — في نيوزلند : توجد الجزيرة الشمالية التي تشتهر نافوراتها بعظم مقدار السليكات التي تخرج ذائبة في مائها والتي ترسب حولها وتكون مدرجات كانت الى ما قبل سنة ١٨٨٦ مجموعة من أجمل المناظر الطبيعية في العالم حتى حدث أن ثار بركان في نفس السنة هدم الجانب الأكبر منها .

٤ — البراكين : وهي المظهر الرابع لمظاهر الحرارة الباطنة للأرض ومن أهمها إن لم يكن أهمها ، ولذا سنترك الكلام عليها الى مقال آخر يتسع للكلام عنها بالتفصيل اللائق بخطر موضوعها .

نعيم على راغب
دبلوم المعلمين العليا قسم الجغرافيا

فى عينيها الصافيتين ماينطبع فيهما من انقباض أو انشراح ، إلا انها كانت بعيدة الغور لا يظهر فى عينيها ما يجول فى قلبها . وكان زوجها أيضاً يود من صميم فؤاده أن يجد مكاناً ترى فيه فتاة الصحراء ولو شيئاً صغيراً يذكرها بالصحراء وطنها العزيز .

وفى يوم من الأيام نهضا صباحاً ليذهبا إلى دار قيل لهما إنها موافقة لرغائبهما وهى فى محلة (السلطان أيوب) فذهبا اليها وتسلقا الهضبة التى قامت عليها تلك المحلة حتى بلغا الدار المقصودة ، كانت الزوجة كعادتها لاتبدى اعتراضاً أبداً ، بل كانت تمشى بجانبه كآلة صماء ، وقد تعبت من البحث عن الدار التى تريدها فى تلك البلدة التى لم تر أولها ولم تعرف آخرها .

كانت الدار صغيرة مشرفة على البحر فيها غرفتان وبهو وحديقة صغيرة ، وكانت فتاة الصحراء تنظر إلى كل ذلك بفتور وملل فاذا بشىء يعلق به نظرها ، لقد لمعت أمام عينيها شمس الصحراء : هناك فى الحديقة الصغيرة شجرة نخل ، نعم انها صغيرة هزيلة ، ولكنها كانت كافية لأن تمثل لها وطنها العزيز .

لقد أثر منظر تلك الشجرة فى فتاة الصحراء تأثيراً عظيماً ، وأعطى روحها حرارة شمس لطيفة أجرت الدم الذى جمد فى عروقها منذ فارقت صحراءها ، وفتحت تلك الشجرة الطريق بين عينيها وبين الصحراء النائية عنها : فرأت أباها وأمها واخوتها ، وعلى قيد غلوة منهم رأت جملها الذى يغمض عينيه السوداوين الكبيرتين أمام الشمس وهو يمد عنقه إلى الأمام .

لقد جاءتها هذه الشجرة بالصحراء ، الصحراء العزيزة عليها ، وبكل شىء قد تركته هناك ، وألقته فى أحضانها فكأنها بجانبه تلامسه ويلامسها .

نظرت الى زوجها بعينين يلمع فيهما بريق السعادة لأول مرة بعد عدة شهور ، كانت تلك النظرة تفيد معنى : انني وجدت مبتغاى ، وانى هنا ، هنا فقط أستطيع أن أعيش بجانب هذه النخلة الصغيرة .

لقد حلت تلك الدار المشرفة على مياه الخليج من قلب المرأة محلاً رفيعاً ، فأحبتها بعد زوجها ، بقدر حياتها ، بقدر وطنها .

نزلا فى الدار وعاشا فيها سنة طويلة .

كانت تعيش هنا بعيدة عن الناس لا تخرج لزيارة أحد كائناً من كان ، بعيدة عن الحياة الغريبة ، عن الوجوه الغريبة ، فى تلك البلدة الغريبة .

لقد زارتها جاراتها يوماً ، فلما رأينها لا تبتدئ معهن خطاباً ولا ترد عليهن جواباً إلا بنظراتها الفاترة الحزينة التى تطلب بها الرحمة والشفقة ، ذهبن فى الحديث عنها مذاهب شتى كل واحدة ترى فيها رأيا ، فلما علمن أن بينها وبينهن حاجزاً من الاختلاف فى اللغة يمنعها من الاتصال بهن تألمن لها أشد الألم ، ثم أخذت تلك الرحمة تستحيل الى سخرية واستهزاء .

إن أهل المدن فطروا على أن يعدوا أهل الصحراء دونهم فى كل شىء ، وهكذا كان شأن نساء تلك المحلة ، كن يستهزئن بالمرأة المسكينة ، وكن يضحكن منها ويقهقهن ، لأنها لا تفهم ما يقلنه من الكلمات فيها ، وكن يجــــدن فى ذلك لذة عظيمة كما يجد الأولاد القساة لذة فى تعذيب الحيوان الذى لا حول له ولا قوة ، فشعرت فتاة الصحراء بذكائها الفطرى أنهن كن يضحكن منها ، فنفرت منهن ولم تعد تقابلهن .

لقد نسى نساء الحى وجود فتاة الصحراء بينهن ، عدا عجوز درديبس كانت تتردد على نساء الحى فتقص عليهن أحاديثها وجدالها مع كنتها ، وتقلق راحتهن بتلك الأحاديث التى لا تعرف الانتهاء ، حتى مللنها وسئمن ثرثرتها ، فكانت تتردد على فتاة الصحراء فتجلس أمامها وتبدأ حديثها باسم الله وتبقى مدة طويلة تتكلم وتتكلم ، ثم تختم القصة بدموع ترسلها من عينيها وتغادر البيت وهى تقول للمرأة التى لم تفهم منها غير دموعها : « الى الملتقى يا بنيتى لقد أزعجتك بثرثرتى ، شرفينا »

كانت العجوز لا تنى عن زيارة فتاة الصحراء ، وأخيراً شعرت أنها وحدها التى كانت تتكلم طيلة هذه الأيام ، فقالت لفتاة الصحراء : مالك لا تتكلمين يا ابنتاه ؟ أبكماء أنت أم ماذا ؟ فلما رأت أن فتاة الصحراء لم تجبها إلا بابتسامة مبهمة ولم تقل إلا برأسها نهضت وغادرت المكان على ألا تعود اليه مرة أخرى

لم يبق من يطرق باب الدار الصغيرة ، ولم يبق من يوقظ شمس الصحراء النائمة هنا من أحلامها ، إلا انها أحياناً كانت تنزل عند إرادة زوجها ورغبته وتذهب معه الى النزهة ، ولكنها كانت تعود الى بيتها وهى مريضة قلباً لا جسما ، لقد كانت تشبه

طائراً صغيراً فارق عشه ليطير ، فوهى جناحاه ووقع على الأرض .

إنها لا تكون سعيدة إلا إذا كانت فى منزلها منفردة بنفسها أمام شجرة النخل مستغرقة فى رؤياها ، وفى ذلك الحين فقط تظهر الشمس لعينيها ؛ إنها حين تجلس تلك الجلسة ، فى تلك الساحة التى يبدو لها منها وجه السماء ، والتى تشبه فى نظرها قصراً من القصور تنسى ذلك الدور الأخير من أدوار حياتها ، وتعود بخيالها فى غفلة لذيذة الى تلك البحار الرملية التى تجرى فيها بقوة هائلة سيول أشعة شمس بلادها فتغمرها غمراً ، وتملأ أرجاءها ونواحيها .

إنها فى ذلك الحين حين تجلس الى تلك النخلة التى تشبهها فى محبة الوطن ، وتشاركها الأسف والحزن ، وترتسم على شفتيها ابتسامة حزن يائسة ، لوقوعها بعيدة عن وطنها وعن شمس وطنها وعن سماء وطنها ، تجمع تلك الهضاب والتلال التى أمامها بعضها الى بعض ، حتى يغيب عن نظرها ذلك البحر الذى أمامها ، وترى أشعة الشمس تغمز تلك الصحراء ، وتبصر ألوف النخيل المنتشرة فيها يسلم بعضها على بعض من بعيد بأغصانها الخضراء العالية الرءوس

فاذا رسمت فى خيالها هذه الصورة الجميلة ، وأتقنت صنعها كل الاتقان ، وأعطتها من حسن تمثيلها حياة حقيقية ، خيل اليها أن أباها وأمها وإخوتها وجملها ذا العينين الواسعتين السوداوين أمامها وتحت نظرها ، تخفق قلبها لهم ، وحاولت أن تهجم عليهم مسلمة معانقة .

وربما ذهبت بعض الأحيان فى النهار الى الحديقة ووضعت حصيراً تحت النخلة التى لا ترد أغصانها عنها أشعة الشمس واضطجعت عليها ، ورفعت عينيها الى السماء ، وسافرت بفكرها الى أقصى حدود الخيال .

كانت ترى قطع السحب تمشى فى السماء على غير انتظام ، فهى إذن إما ذاهبة نحو قومها ، أو آتية من عندهم ؛ فالسحب إذن قد رأت قومها أو ستراهم ، فكانت تبتسم لهؤلاء السائحات وتسألهن : ألم يجئنها بسلام من قومها وصحرائها ؟ أو تسألهن أن يتركن لها فى أجنحتهن مكاناً صغيراً يسع خبراً عنها لقومها وأهلها

***

فى أعقاب خريف السنة التى قضتها فى تلك الدار رأت الطيور تطير أسراباً أسراباً فى السماء ، فاهتمت لذلك وسألت زوجها عنها

فقال لها : « إنها ذاهبة الى بعيد ! الى البلاد الحارة » . فقالت فى نفسها إنها ستمر إذن بوطنها العزيز . فكانت تضطجع تحت نخلتها وتغنى بصوت حزين أناشيد قومها وألحانهم الشجية ، مضمنة ذلك شوقها الشديد ، متوهمة أن تلك الطيور ستقفل راجعة اليها تحمل اليها أجوبة تلك الألحان والأشواق .

جاء الشتاء بخيله ورجله ، وأصبحت فتاة الصحراء لا تقدر على الجلوس تحت نخلتها ، والتمتع بظلها ، وشم رائحتها ، فأخذها من اليأس ما زاد فى آلام نفسها ، وأصبحت تقعد بجانب نافذتها ساعات فراغها من عمل المنزل غارقة فى بحر من الآلام والأفكار ، فما يدرى ما الذى كان يشغل خيالها ويقلق بالها فى ذلك الحين ، أمنظر النخلة التى كانت تخشى عليها من البرد القارس ، والهواء العاصف ؟ أم انتظار الطيور تقبل عليها من ناحية من نواحى السماء المستورة بالغيوم ، تنقل اليها أخبار أهلها ووطنها . ؟

كانت فتاة الصحراء كلما مضى يوم من الشتاء هزلت وضعفت ، وأخذ نور عينيها يخبو تدريجاً . فلم يخف ذلك على زوجها ، فقال لها : « ما بك ؟ أراك تخفين عنى شيئاً يمضك ويؤلم ، لقد سئمت الوحدة وتشوقت لرؤية أهلك وصحرائك » كانت تنكر ذلك ، ولكنها كانت فى شوق زائد الى رؤيتهم ، إنها اشتاقت الى الصحراء ، الى شمسها ، الى جوها الصافى ، الى نخيلها ، الى والديها واخوتها ، الى جملها ، أجل ! اشتاقت الى كل هؤلاء ، ولكنها كانت كالأطفال تنكر شوقها وتصر على الانكار ، ومع هذا كانت تدير وجهها تحت تمثال صحرائها ، ألا وهو نخلتها وتنظر اليها بحزن عميق .

أقبل الربيع :

علمت ذلك من زوجها فابتهجت وفرحت : جاء الربيع ، كانت تظن أنه اذا جاء الربيع أتاها بتذكار جميل من أهلها ومن قومها ، ولكن هيهات ، جاءها الربيع بالمصيبة الكبرى : ستباع الدار ، وهما مضطران الى النزوح عنها الى غيرها

الدار يبيعها صاحبها : ستفارق إذن فتاة الصحراء حلمها الجميل ، ستفارق النخلة ، خطر لها خاطر خفى وهو أن تأخذ معها شجرتها الى الدار التى ستسكنها ، ذكرت لزوجها رأيها فوافقها على ذلك ، وقررا أن يأخذا معهما النخلة سلوتها الوحيدة

رحلا الى دار صغيرة مظلمة فى حى فقير مظلم فصنعا للشجيرة محلا أمام النافذة ووضعاها فيه وربطاها الى حديد النافذة

لقد قنعت فتاة الصحراء بهذه الدار الصغيرة المظلمة ، ما كانت ترى فى هذه الدار السماء الصافية ، ولا الشمس المشرقة ، ولا القمر الزاهى ، ولا النجوم الزاهرة ، ولا الدور الشاهقة ، لكنها كانت ترى نخلتها المحبوبة فيسكن قلبها لرؤيتها ، فحياتها منوطة بها . تجلس دائماً بقرب النافذة واضعة رأسها على يدها ، وتنظر إلى رفيقة وطنها بقلب أضناه الشوق وبرحت به الذكرى . ولكن النخلة كانت تذوى كطفل أخذ غصباً من حضن أمه ، وفتاة الصحراء تذبل بذبولها كشجيرة انتزعت من مغرسها ، فاستحكم الذبول فى الاثنتين ، فكان يظن الناظر إليهما أن سراج حياتهما ينطفىء تدريجاً .

نهضت يوماً من فراشها وذهبت كعادتها إلى نخلتها ، ولكنها تراجعت إلى الوراء دَهِشة ، ماذا ترى ؟ رأت نخلتها العزيزة رفيقتها ومؤنستها قد انكسرت من وسطها حيث الرباط ، وسقط رأسها إلى الارض ، فهدت تلك المصيبة من قوة الفتاة ، فجلست بجانبها وذرفت دموعاً غزيرة خرجت من أعماق قلبها المحطم لفراق الوطن والأهل .

عاد زوجها مساء فالفاها على تلك الحالة باكية حزينة . فسألها قائلاً : « مابك ؟ أعلميني أسباب حزنك وكدرك ، ما الذى يبكيك ؟ » فاعترفت لأول مرة قائلة : « لنذهب ! لنذهب إلى هناك ! » وأشارت بيدها إلى بعيد ، إلى ديار أهلها وقومها .

***

عادت الطيور ولم تأتها بخبر من أهلها ، ولكن ما الذى يهمها من ذلك الآن ، إنها ذاهبة بنفسها الى الصحراء ، الى الوطن الذى طالما فكرت فيه وأضناها بعدها عنه ، وذرفت لذلك دموعاً غزيرة . .

لقد ذهبا الى الصحراء ومضى على ذهابهما زمن طويل . .

فليت شعرى ، أفتاة الصحراء لاتزال تجلس تحت ظل أشجار النخيل ، تغنى أناشيدها القومية فرحة مسرورة بالوطن العزيز الذى كانت ترى بجانبه جمال الآستانة قبحاً ، وماءها ملحاً ، وهواءها رديئاً ، وجوها وبيئاً ، وشمسها قاتمة ، ونجومها مغمضة نائمة ، أم هى نائمة نوماً أبدياً تحت أطباق الثرى ، وحيدة منفردة وظلال أشجار النخيل تبكى عليها ؟ . .

« حلب » **فتاة الفرات**

من المسرح الغنائى

١ ـ سافو

لأوجييه اميل

ترجمة الأستاذ محمود خيرت

مقدمة

ليس الفونس دوديه بمجهول من المشتغلين بالأدب الفرنسى وهو ذلك الكاتب الوجدانى الرشيق الأسلوب ، السليم الذوق ، البارع فى وصف الحقيقة ، فهو المنبع الصافى ، والسهل الممتنع ، يأخذك خلال ما يكتب ، ويسحرك بيان مايصوّر ، فلا يلبث أن يشد أعصابك شداً ، ويجرى دموعك سيولاً ، ويلهب مشاعرك إلهاباً وأنت ذاهل تشارك بالرغم منك أشخاص قصصه ما يوزعه عليهم من مختلف العواطف المضطربة المتباينة .

وسافو إحدى آياته الكبرى التى جمع فيها بين الشهوة الثائرة ، وعاطفة الأمومة الطاهرة ، ظهرت فى سنة ١٨٨٤ وهو فى الرابعة والأربعين من عمره (لأنه ولد سنة ١٨٤٠) وقد امتلأ تجربة وخبرة ، وشبع شهرة وصيتاً ، فكانت من القصص الخالدة ، حتى ان قطعة سافو التمثيلية الغنائية (أوبرا) التى أخذت عنها دائما متجددة الشباب تمثل فى فرنسا إلى الآن ، وفى مصر بدار الأوبرا الملكية كل موسم تقريباً . وهذه القطعة هى التى عنينا بنقلها « للرسالة » إلى لغتنا العربية الكريمة (١)

واسم سافو على مايظهر غير فرنسى ، لأنه اسم امرأة أغريقية اشتهرت مابين القرن السادس والسابع قبل الميلاد بشعرها ، كما اشتهرت بخلاعتها واستهتارها ، حتى أنها لما ملك اليأس عليها كل سبيل القت بنفسها من أعلى صخرة (لوكاد) فى اليم .

ولقد وضع پراديه المثال الفرنسى الشهير فى سنتى ١٨٤٨ و ١٨٥٢ تمثالين أولهما من البرونز والثانى من المرمر كانا محل اعجاب الناس ، حتى أن كثيراً منهم حصلوا على نسخ منهما ، وقد سماها باسمها . ولا يمكن أن يكون أراد بهما تخليد تلك القصة الشهيرة التى لم تظهر كما قدمنا إلا فى سنة ١٨٨٤ لأن أول هذين

(١) مؤلف هذه القطعة هو أوجييه اميل وقد طبعت بمطبعة كالمان ليفى باريس وهذا على ما أذكر لأنى فقدتها بعد الفراغ من تعريبها

التمثالين تم ودوديه فى الثامنة من عمره ، وظهر ثانيهما قبل نشر قصته بنحو اثنتين وثلاثين سنة . ومن هذا يتضح أن ودوديه انما وضع التمثالين المذكورين تخليداً لذكرى تلك الأغريقية .

واذا علمنا أن دوديه رجل (شأن كل كاتب) واسع الاطلاع مفروض وقوفه على تاريخ تلك الأغريقيــة وظروف حياتها ، وكذلك علمه بأمر هذين التمثالين جزمنا بأنه ما كتب تلك القصة إلا وهو متأثر بهذين الظرفين لقيام وجه الشبه بين هذه المرأة وبين سافو ربيبة قلمه من حيث الحب والخلاعة والاستهتار . ولأن قصته والقطعة الغنائية المأخوذة عنها تناولتا ذكر التمثال المرمرى الذى أشرنا إليه .

على أن من العجيب ما لحظناه من أنه جعل فتاة قصته مصرية ، وأن واضع القطعة التمثيلية المنقولة عنها جعلها أندلسية ؟

أما الناقل فقد يكون التبس عليه الأمر بين هذه المصرية وبين راقصة أخرى أندلسية جاء ذكرها أيضاً فى نفس القصة . ولكن دوديه أكد وصف سافو بالمصرية فى أكثر من موضع منها ، فلا بد إذن أن واضع تلك القطعة تعمد جعلها أندلسية ، لأن سافو كما وصفها دوديه امرأة فطرت على الحب العنيف المتقد ، وهى أيضاً كثيرة الأهواء لاتستقر عند حبيب واحد ، ولا تطيب حياتها إلا بالتنقل من حب إلى حب ، وكلها صفات تتوافر كثيراً فى الاسبانيات ، حتى أن بروسبير ميريميه اضطر إلى اختيار « كرمن » فى قصته البديعة من بينهن

ودوديه الكاتب القدير لايفوته ذلك أيضاً ، ولكنه قصد الى تمصير سافو قصداً ، وقد خصها بالاجادة فى رقص « البطن » فاذا كان هذا ما اراده فقد التوى عليه قصده ، لأن مثل هذا النوع من الرقص ليس من عادات الباريسيات ، وقد أراد بقصته وصف تلك العادات ، ولأنه كان عليه ما دام هذا قصده ألا يسمى فتاته سافو ، لأن سافو الأغريقية لاتعرف مثل هذا الرقص ، ولأن المصرية لا تتسمى بهذا الاسم .

وعلى كل حال فقد رأى ألا يجعل الخاتمة واحدة فى سافو التاريخ وسافو القصة ، فغلّب هذه على اليأس الذى ذهب بحياة أختها ، وأحياها الحياة الكبرى حياة الأم التى تحطم قلبها وتتطهر من أقذار الأثم لتنصرف الى تربية طفلها . فكان فيما اختار عظيما رائعاً ، وهو ينزل على حكم الطبيعة ، ويساير غريزة التكوين البشرى ؟

محمود خيرت

الرواية

الفصل الأول

(بهو ينتهى الى مصنع المثال كاوودال . يموج البهو بالمقنعين والعذارى المقنعات ، لأن الليلة راقصة ، وأما المصنع فتدوى فيه نغمات الآلات الوترية ، وسافو (واسمها المستعار فنى) ترقص وتغنى ، والمجتمعون يصيحون من النشوة والطرب . وأخيراً يظهر فى البهو كاوودال ولا بودرى مقنعين)

كاوودال — انظروا أيها الشبان كيف أصبح الشيوخ أكثر فتوّة منكم !

لابودرى — إنى راحلٌ يا أستاذى

كاوودال — طبعاً لأن المجلس لم يعجبك

لابودرى — كلا ، ولكنى لا أستطيع البقاء فوق هذا

كاوودال — بل قل إن هذه الراقصة ذات العيون السود لم تفتنك ، إن رشاقة هذه الأندلسية لا تدع عقلا لعاقل ، وهى تجتمع دائما هنا بأصحابها ، فلم لا تشاركهم هذا الأنس ؟ (يغنى)

يا غصون الشباب

الجميع — يا غصون الشباب

فنى (سافو) — إن عذب القُبَل هان فيه العذاب
وسواد المقل طاب فيه الجنون

الجميع — يا شباب الغصون

لابودرى — مهما كان من الأمر فانى سأرحل

كاوودال — يا عدوّ الملاح

الجميع — ما علينا جناح فانتظر للصباح

كاوودال — ما أغربك أيها الفتى . تفرّ من هذا الأنس وتزعم أنك شاب

لابودرى — وكأنى بك فى سنّ العشرين

كاوودال — مع انى فى الستين (ثم يخاطب حنا) وأنت لم لا ترقص يا حنا ؟ كنت أظنك فى مجلى هذا السرور أكثر نشاطا ومرحا

حنا — إننى ما رقصت عمرى

كاوودال — ولكن الرقص ينفض عنك تراب القرية . تشجع

لابودرى — العبرة بالخطوة الأولى . هيّا

كاوودال — ألا تعرف هؤلاء الفتيات الجميلات ؟
حنا — لا يا سيدى
كاوودال — وكيف تراهن
حنا — رائعات
كاوودال — ألا أقدمك إليهن
حنا — أشكرك وأعتذر ، فقد أكون محل سخريتهن
السيدات — ها ها ها (ضاحكات)
لابودرى — (وكأنه يكلم نفسه) ولم ؟ ما أبسط هذا الفتى !
كاوودال — تعال معى
حنا — دعني بالله (يمتنع فينصرف كاوودال ومن معه الى المصنع)
كأنني فى حلم . أهذه هى السعادة التى يتغنون بها !
(هنا يسمع ضجيج المجتمعين فى المصنع وهم يغنون) :

نماذجُ المصنَعْ سافو لهـا تاجُ
جبينهـا يسطعْ كالتبرِ وهّاج
سُبحان من أبدع جمـالها سافو

ماذا أسمع ؟ كل شئ فى هذا المصنع يشد أعصابى . فأين أنا من قريتى كنز السكون والنور ؟ ومن خمائلها يحمل النسيم أرجها فيعطر الأرجاء . لقد كنت فى المساء أجوب غاباتها النضرة فتهزنى الأحلام ، وهواؤها العليل يشدو من خلال أوراقها فأنسى قسوة الشتاء . قريتى التى تفيض بالأمل والحب ما أبعدها الآن عنى !
(يسمع هرج فى المصنع وضحك طويل ثم يخرج بعضهم يتعقب فنى)
أحدهم — قبلة يا فنى
فنى — اخسأ
هو — (الذى يتعقبها) قبلة واحدة صدقة عن هذا الحسن ...
فنى — تظهرون الغرامَ لى فى ابتسام مُغرِّر

خدعةٌ ليس ينطلى سبكها فى نواظرى
إنكم تصدعونني انكم تخدعونني

(تفلت منهم وتسأل كاوودال)
من هذا الفتى الجميل (مشيرة الى حنا)
كاوودال — لا أعرفه
فني — ولم لا أسأله أنا ؟
كاوودال — شأنك معه (يبتعد ضاحكا)
فني — (تقترب من حنا) ما اسمك ياصاحبي ؟
حنا — حنا جوسين
فني — قروى ؟
حنا — نعم
فني — وهل أنت مصور ؟
حنا — لا ياسيدتى (مطرقاً)
فني — أحسنت . ولكن لمَ أنت مطرق؟ وماذا رابك مني ؟
حنا — بالله لاتسخرى مني يا سيدتى
فني — أنا ؟ إنك بالعكس سحرتني وإن كنت غير مصور
(يسمع صوت كاوودال ولابودرى يناديان)
الطعام . . الطعام
فني — (فى اذن حنا) الى الملتقى ياحنا
كاوودال — هيا يا إخوانى
الجميع — (داخل المصنع) الغداء ! الغداء ! الغداء !

ان لذة الأنام فى تذوق الطعام
الغداء ! الغداء !

كاوودال — (من الداخل) سافو !
(يحاول حنا الدخول فتمنعه مضطربة)
فني — لاتدخل ياحنا . تعال معى
حنا — ولكن . . .
فني — تعال . تعال
حنا — (يخضع) غلبتني مقلتاها فسبيلى قدماها
فني — عقل فني فيك تاها سهم عينيك رماها
حنا — يالهيبي !
فني — ياحبيبي !
(يذهبان بينما المصنع فى هرج وأنس)

« يتبع »
